عز الدين المناصرة

مختـــارات شعريـــة

الكتاب: مختارات شعرية

الكاتب: عز الدين المناصرة

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف: ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس: ٣٥٨٧٨٣٧٣

E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

المناصري ، عز الدين

مختارات شعرية / عز الدين المناصري

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

الترقيم الدولي: ٧ – ٥٠١ – ٩٧٧ – ٩٧٨

٢١٣ ص، ١٨ سم.

أ – العنوان رقم الإيداع: ١٥٢٤٥ / ٢٠١٧

مختارات شعرية

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

١- يا عنب الخليل

سمعتُك عبر الليل النَزْف أغنيةً خليليَةْ

يُرددها الصغارُ وأنتِ مُرخاةُ الضفائرِ

أنتِ داميةُ الجبينْ

ومَرْمَرَنا الزمان المرُّ يا حبّي

يعزّ عليَّ أن ألقاكِ.. مَسْبِيَّةْ

سمعتك عَبْر ليل الصيف أغنيةً خليليّة

خليلي أنتَ: يا عنب الخليل الحرّ... لا تثمر

وإنْ أثمرتَ، كن سُمًّا على الأعداء، لا تثمر!!!

عنبٌ جَنْدليٌّ وإيقاعُهُ فاعلنْ في المزادِ، وقيل: فعولنْ

لأن الخببْ

يرتوي من بحور الذهبْ.

فيمشي الهُوينا كدحرجةٍ لقناني النبيذ على الطاولاتِ

وفي بيتَ لحمَ التي لا تنامْ

يَحِلُّ عليه التعبْ

ينام على حجرٍ من صَخَبْ

لترعاه عينُ العناية في حضن بَعْلٍ الذي لا ينامْ

الخليلُ تفضّلهُ في الصباح زبيباً وَدِبْساً إذا كانَ

مَلْبَنُهُ صافياً كبنات الشآم.

سُكّراً كبياض خليليةٍ مثل شمسٍ تغار من الشمسِ

كي لا تغار من الورد، من حُمرة الوجنتينِ

ولين القوامْ

ونحن الأعاريبُ نعشقها كرمةً تتجلّى غِلالاتُها في المنام

نخبئها في السلاسل، بردانةً، ثم بين فروع النباتْ

نُمزمزُها في الصواني

إذا هَلَّ هذا الصقيعُ على الكائنات.

ونقطفها في ديسمبرَ،

في عيد عيسى عليه السلامُ، عليهِ السلامُ

غريبُ الدّار يا حبّي، غريبُ الدارْ

يَظَلُّ يلوب في البلد البعيد على حدود النار.

كعاصفةٍ من العلّيق والأشواك والمُرَّار

تهبّ تذيب أفئدةً جليديّة

وحول مقابر الموتى من الأحياء

تظلّ تحوم طول الليل، جنيَّة

تغنّي الليل، أحلام الثكالى... والدجى المأفونْ

وتلعن من أطالوا الليلَ يا حَبْرونْ !!!

عنبٌ دابوقيٌ كرحيق النحل على يافطةٍ بيضاء

عنب دابوقيّ يتدلّى من عِبّ الدالية كقرط الماسْ

عنب دابوقيٌ لا يُشْبِهُهُ أحدٌ في الناس.

عنب دابوقيٌ يصهل مثل مغنية خضراء

عنب دابوقيٌ يتمدد كامرأةٍ في شمس المِسْطاح.

ألملبن كالزبدة كالشهوة في الخلْوة مثل ندى التينِ،

كحمحمة الأنثى في أطراف الكاسْ.

أثقبُ بالإزميل الليلَ، يناديني البُلبلُ من قلب الأحجارْ

ليغّني لقبور الأجدادْ

عنبٌ دابوقيّ من جبل الشيخ يناديني:

من جبل الشيخ أيا بَرَّادْ

من دمع كروم الكنعانيين، صلاةِ الأسياد

من لهفة جدّتنا في الصحراء على الماء

من طين الحَّورِ، تعصرهُ، تنتظر النبع المتدفقَ

في غربتها

من لبن الدالية سأرضْع أحرف جدّي،

من حقل الآراميْ

من حجر رخامٍ في مقلع جفرا الكنعانية

عنب دابوقيّ

عنب دابوقيّ

عنب دابوقيّ

سمعتك عَبر ليل الحزن أغنيةً خليليّة

تصيحُ طوال جمر الصيف:

أبو الفقراء والأيتام مرّ يقولْ:

هنا يستيقظ الإسفلت والزيتون

هنا يبكون خلف السدر والزقّوم.

متى ترجع!!!

وهل في القبر من يسمع!!!

صراخَ فؤادك المحموم

إذا الأحياءُ ماتوا في ذرى "أرْبَعْ" !!!

كان نُعيميٌّ ينهر بغلته في أوَّلِ خيط للفجر

كي لا تترضْرضَ أثداء العنب الدابوقيْ

يشرح لي عن سلسلةٍ من نسبٍ لسلالةِ أجدادِ الكرمة

كنتُ أرافقه للسوق على ظهر الفرس الشهباء

يتغزل باللون وبالطول وبالطَعْم وبالأسماء

قال خليليٌّ من عصر الإحياء:*

أنت خليلي كالعنب المر المتأخر في النضج

الأصلب عوداً في الوعر وفي الأزمات

تبدأ حين القافلة الخضراء

تجأر بالشكوى في حجري موبوء

وتظل الرمح الضاحك في آخر نفس للشجرة

كان الوسطاء سماسرة يمتصون النصر كدبور

يمتصون عروقي وعروق أبي

كان أبي يتأكد من خاتمة العنب الدابوقي

حتى لا تسرقه الخمارة

حتى لو خسر جهاراً بغلته وحماره

---

* حبرون – أربَع: أسماء كنعانيَّة لمدينة الخليل.

* نعيمي: نسبة لبلدة بني نعيم الخليليّة ونسبة للصحابي الفلسطيني نعيم بن أوس الداري – حارس (كتاب الإنطاء الشريف).

الفاسدة يا ولدي يتخثر في الجسد كجيفة

ثم يجفف نبع القلب

كان يداريني حين يداهمني التعب وكان يغطيني

بعباءته من لسعة برد سرى الليل

عنب دابوقي كنعاني شفاف كغلالة عذراء

كقناديل بنات النعش الفضي

يتدلى فوق سحاحير الفجر ملاكاً يغرق في النوم

عنب يتدلى أحياناً مثل الأكفان

حين نبيعك، يمتلئ القلب بحزن أبدي

يمتلئ الجيب بخسران

فبأي طريقٍ نحميك من البهتان!!!

سمعتكِ عَبْرَ جمر الصيف أغنية خليليّة

تظل ترنُّ خلف التلّ منسية

إذا ما استنسمتْ ريحاً بوادي الجوزِ

غربية

تظل تنوح ما ناح الحمام على سواقي الحب

فوق ضفائر الزعرورْ

وفي المذياع، أصواتٌ، علاماتٌ أثيريَة:

خليلي أنتَ يا عنب الخليل الحرّ لا تثمرْ

وإنْ أثمرتَ، كن سُمّاً على الأعداءِ،

لا تثمر!!

١٩٦٦، القاهرة

---

* نشرت في مجلة الآداب البيروتية، أيار عام ١٩٦٦، وعُدلت عام ١٩٦٨. وقد غنى بعض مقاطعها المغني الفلسطيني مصطفى الكُرد لأول مرّة عام ١٩٨٤ وترجمت إلى أكثر من عشرين لغة أجنبية.

٢ - جفرا في سهل مَجِدُّو

سأفكفكُ أزرْار قميص الوردة سرّاً في الليلْ

فمُها كالسمكةِ وردةُ هذا الليل

قال الحطَّاب القَرْفان المرميُّ بغابته السمراء:

يا هذا لا تستعجلْ

في الليل ورودٌ تَخْجلْ

فتوشوشُ في الفجر شقيقتَها بكلامٍ عيبْ

وهناك ورودُ تَسْتَلُّ مخالبها، لا تخجل

تغتصبُ الزنبقَ في الوادي

تحصده بالشفرة والسيف وبالمنجلْ

كم واعدتُ الوردةَ في الليل على سطح الليل

كم كَذَبَتْ كالأسنانِ البيضاء الضاحكة بصدغيها

كم خِفْتُ عليها

وأنا في غابة أشواك الصبر الأصفر

أتقلَّى من غضبٍ كالماء الفائر في المرجلْ

تأتي، قد لا تأتي

مطلوبٌ مني أن أتجمّلْ

تأتي ، قد لا تأتي

مطلوبٌ منّي أن لا أسألْ

سأنتّفُ أوراق الوردة حتى تأتيني الوردة

سأفتّتُ هذا الحجر بكفيَّ مخدّةْ

أشرب كأس عصيرٍ من جَعْدَةْ

أشرب وقْع مسافات الساقين المرمر

في قاع محطات الزمن الأصفر

أشرب زمنا ممدوداً.. وبطيئاً

في منعرجات الدَفْتَرْ.

سأحبكِ

هذا درب الليمون الفضّيْ

يتلألأ بعد المطر الصيفي.

سأحبك

هذا قلبي منثورٌ فوق الطرقات الصفراء

هذا عودي

سأدندن أنشودةَ سهل مَجِدّو

عودي

هذا عودي الأخضر فوق شفاه الكنعانيات

هذا دربُ البرقوق على خارطةٍ مهترئة

هذا مفرق مَعْصرة الزيتون

هذا أثر الثعلب في حقل القثّاء.

سأحبك، بَسْ تيجي يا عمّتنا النخلةْ

في سهل البطيخ الأشقر حين أمرمغُكِ مع الرمل الأحمر

حين أغمّسكِ بخبز الطابون

حين أنظّفك بزيت الصابون

سأفرفك أنحاءَك في عتم الزمن الكُحليْ

وسألقاك بدون السينات البدوية،

ثمَّ أشمُّ مواويلكِ عن بُعدٍ، ألقاكِ

ولو رفرفت الغربانْ

ألقاكِ غريقاً يتعلق في البحر الأسود أخشاباً

من غابة كنعان.

سأخربشُ خجلي في هيئة أفعى

أرسم ساقيها كالجدول

أرسم ماءً يتدفق بين الخطّين المصقولينْ

أرسم طيراً أخضر في أطراف مغارات الغابة

أرسم زهرات القندول على الصفّين.

أرسم زنبقة ووعولاً تتراكض في الليل البُنّيْ

في سهل العنب الدابوقيْ

أرسم طاقية إخفاءٍ لأزورَكِ

ثم أكحّلُ جفنيكِ.. بلونينْ

وأوزّعُ قافيتي وخيولي بين مَجدِّو.. وَمَجِدّو.

في سهل مجدّو يرتفع الكنعانيْ:

الأخضر زرعي داسوه بجرّافات

الأحمر قرباني للإيل وكبشي من أجل منامات

الأبيض حقل الملح شربناه على المُنعرجات

الأسود قهرٌ في أضلعنا من زمنٍ فات.

إنْ جاءت جفرا في موعدها

أرسم نافذةً وعلى الإفريز حمامة

لاحقها صقرٌ كقذيفة نار

أرسم فوق العشب مُسدَّسَها

وإذا غابتْ أرسمُها كزجاج مكسور في المرآة

أمطرهُا برزيل الكلمات

أرسمها تسعى كالأفعى، أشويها

ألقيها كالوردة في النار.

حين تساقط فوق سوالف أشجار الزينة

مطرٌ ورذاذٌ من شبق الحبِّ الأخضرِ

أصبحتُ رهينةْ

كان هدير الصوت على الإسفلتْ

أخبرني عصفورٌ دوريٌّ مرَّ على مقهى

أسمع همهمةً وعويلاً في الخطوات البريَّة

من خلفي هبطتْ فوق العينين أصابعُها

قمتُ تحسستُ طراوتها في الصمتْ

أعطتني أسئلةً ورموزاً وإشاراتْ

ألقيتُ مسدَّس خوفي في الوادي

ففككتُ الأسرار الوردية في الليل

ففككتُ قميص الوردة

سرّاً في هذا الليل المجهولْ

كانت جفرا أنقى من ثلج السهل.

تُسندني بأصابعها، تحميني

النهر الدموي وحيداً كان يُراقبُنا في الليل المجهولْ

مَغْيوظاً منّي.. كعذولْ .

ربيع ١٩٦٤، فلسطين

٣- قراءة أولية لطريق العين

الماءُ الرائي

الماء المرئي

الماء الموصوف بنكهته كحليب الماعز

الماء الثلجيُّ المتسلّل ما بين عروق الصخر الورديّ

أنقى من قلب الطفل الأسمر

أنقى من كهربةٍ في الروح

يشعطنا كالزعتر بالزيت البلدي

يفتح طاقات في الجهة الشرقية للقلب

الماء يداوي كطبيب، جسداً للشاعر مقروحْ

الماء السمح بضحكته البيضاء

الماء الصافي كالأصوات الأولى

الماء الأحمر مثل الوعل البريّ المجروح

عند سدود البحر الميّت حيث حقول الملحْ

الماءُ المذبوحْ

لسماحته طعم الأرض النَورْانيَّة

أعني تمتمةً وتعاويذ الوَلَهِ الشفويّة

في متن نصوص الأجداد الفضية

حول الماء

كنّا نَلْتَمُّ كعائلة حول الماء

نلتفّ كثعبانٍ حول الماء

يا سيدتي الكنعانية

جرّتك دليلُ العشّاق، عطاشٌ في بريّة لوط

جرتك المشوية في الطابون

تحرسها هالات وإشارات سحرية:

نقْمَشَةٌ لرغيف

حجرٌ منقوش كعروس في ليلة دخلتها الأولى

روث ذكّرني بسنابل مريمْ

رأسك، قبّته كوليّ صالح

جرتك الراشحة بأنداء التين

جرتك لدبسٍ يُثقِلُ أدمغةً في الصبح البارد

مجموعةُ أوتار تعزفها الريح الجبلية

فوق رؤوس الحطّابين

غِدْفتُها منديلٌ ملفوفٌ حول التفاحة

أسراب النورس في مُنعرجات البحر الأبيض

أبيضُ، أبيضُ، يا أبيض

كم يذبح أوردتي اللحم الأبيض

كم يدهشني الأبيض يا متوسط

كم تقتلني الفِتنُ الكُبرى في أطراف عروق التطريز

كم راقبتُ حمامةَ وادينا حين تحطُّ على الإفريز:

"مرَّتْ، مرَّتْ.. ما مرَّتْ

مرَّتْ... ما مرَّتْ

مِرْواد الكحلْ في العين جرّتْ"

فطساء، قياسٌ أبدي لامرأة ليمونية

الحمرةُ من أصداف البحر العكَّاوي

وحريرك من سوق شجاعية غزّة

سلسال صديركِ روّعني

خلاّني مطروحاً فوق فراش العشق

حين تزورين البحر الميت في غسق المشمش

خلّيني أتجرجر خلخالاً في أسفل ثوب الفتنة

خبيّني في عبّ قميصك كالحنّونة في حقل القمح

هذا البحر الميّت لي

طوّبتُ شواطئه في دائرة عقارات الكنعانيين

هذا البحر الميّت لي

غسّلت جوانحه بالماء العذب

هذا البحرالميّت لي

طَهّرهُ غضبُ براكيني

هذا البحر الميّت لي

سأحذركم من لمس جدائله في الليل

هذا البحر الميّت لي

شيّعت جنازته بحداء الركبانْ

من رأس الناقوة حتى رمل شعابي

من صيدون إلى غسق جبال الغيم الشرقية

حين تزورين جهير الماء الطّيب

أتشعلق في قُبّة صدرك مفتوناً وأمام الناس

كضحى من ذهبٍ، يغشى أطراف البرية.

لكنْ

دُلّيني: أيّ طريق أسلكها للقلب

قولي لي: أيّ طريق أسلكها للعين

لسماحة هذا الماء

الثعلب ينهش شمّامته بهدوء في حقل البطيخ

بهدوء يرد العين، يحدّق مرتجفا من وهج العين

يطلق صرخته كرضيع من أجل حليب غَلاوتكِ،

ومن أجل نقاء الروحْ

يزعم أن العين طريقٌ رجرجها عَصْفُ الريح

الحجل البريّ على أطراف حقول القمح يناديك ويحسدني

ثم يغازلك بوقوقةٍ، حتى أنغاظْ

شجرة صفصافٍ عند طريق العين تباهتْ بسوالفها

قالت لي: فوق سرير من خشب الورد الوهّاج

نتشابه إن مسّدت بكفي؛ فوق الأمواج

الحورةُ غارتْ فأشارت لبُطينِ الأوراقْ

ورقي صفَّة ذهبٍ عثمانية

بل تحت الأوراق الخضراء رحيقي المختومْ

لم تمسَسْهُ الجنُّ، ولا خيلُ الروم

قالت لي: حدّقْ في الجسد الملفوف

أفراحي في الجسد مُتلتلةٌ وقوامي مهضوم

قالتْ لي: اتبعْ قلبَكَ واتبعني

قالت لي: تدليعُ الجَسَدِ صلاةٌ وتراتيلُ غُيومْ

وبقيتُ أراقبها في حاكورة أعشابي

حين تمرُّ غزالة هذا النبع، تدق على بابي

نذهب في الباص إلى المدرسة كطفلينْ

لكنّي لا أترك عيني عن درب العينْ

لا أتركُ عيني عن درب العين.

١٩٦٤، فلسطين

٤- خان الخليلي

سَنَمُرُّ كرهْطٍ من غجرٍ قُدَّام المقهى الرمليْ

وسأربط فرسي في حوش الخانْ

حيث أُمَسْمِرُ سينات التسويف المُرّةْ

في خشب التفعيلة في المقصوراتْ

حتى يحميني السقف الخشبي البردانْ

يحميني من عاصفة الصَهْد الحجريّ.

سأمُطُّ الحرف الساكنْ

أُرخيهِ على المصطبة الكحلاءْ

مثل خليليْ

فإذا أتقنتُ الوصفَ،

صرختُ: الوصفُ رماديْ

وإذا أُحبطتُ بتأتأةٍ عرجاءْ

أخفيتُ الطاقيةَ في جيبي... وطردتُ الجِنّيْ.

أوْ صرتُ كَراعٍ يبحثُ عن عشبٍ

في مُدُن الخَرَصانْ

دعني ما دام الأمرُ مغامرةً،

أستسلمُ كالرعيانْ

لمفاجأةٍ في قلب الصخرة أو في عَتْم مغارات الوديانْ

دعني أتأمل باسترخاءٍ أسماء وحيطانَ الخانْ:

حين تمرُّ تفّاحةُ الصباح

يرتجف قلبي مثل طُعْمِ صُنّارةٍ تتلولحُ في الهواء

حين تمرّ تفّاحةُ الحنين

تَشْعَطُنا بالنّار وتكوي شرايين الحارات

حين تمر تفاحة الشبق

تتقصَّعُ في مشيتها كالشعر

وتهز الأرداف كإيقاع نثري

لماذا إذنْ لا أقول رأسا

ودون كافات التشبيه:

مسألة تُغريني

حين أُناوِشُكِ فتتدلعين كالمهرة

يا مهرةً غنوجاً يا تفاحةً نديّةً في المشربيّات

لماذا تشوين قلبي حجلاً بريّاً

في موقدك الثلاثي العتيق

قرب نبعٍ روماني في الوادي

دون رحمة، دون نظرة، دون مداعبات.

الماء يتدفق ناصعا في سراويل الخلوة

حيث الماء جذري والتراب يقيني.

العالم فواصل ونقاط وعلامات

لمسافات الرغبات وفي النهاية تراب

لماذا لا أقول مباشرةً

دون وسائط نقلٍ أو مواصلات:

نكتوي بالتأمل أحياناً بالثلج وأحياناً بالنار

فلماذا لا نعترف بهواء الاسترخاء

حين تكون المسافة مُعقَّدةً

تتشابكُ فيها أزمنة مثل امتزاج عناصرنا

لماذا تكون نار التوتر علامةً سحريَّة

لماذا يرقص التفاح في النثر أيضاً!!!

سأقول دون لفّ ولا دوران حول القلب:

أنت المسافة بين الأمكنة المغروسة في الرأس

في الرأس يولد حنين الإشارات

أنت المسافة بين ظنوني وظنوني

مسألة تغريني.

حين يمر تُمرُّ نُهود الرمَّانِ على قش العربات

أنت دمي المهدور في الثغور والمفترقات

أقرأ النحاس المنقوش

أقرأ النارجيلات

أقرأ طريق الخليلي

من حبرون إلى الفسطاط

من العنب الجبلي إلى منارات المآذن

لماذا لا أقول بصراحة أخوية:

أدخلي ، أدخلي يا تفاحة الصباح

كرذاذ قشر البرتقال في أنحائي

لملميني قطعةً، قطعةً من الطمي

لكي يمر النيل الحبشي، النيل الأزرق

النيل الأحمر مثل فتيات القرابين

تحت القدمين فألعب بأطراف أصابعي

يهرب هذا الماء كبيضةٍ خداج.

في الليل طلبتُ حبيبي الذي في كتاب النصوص

واعدني في خيمة خضراء

وأنا أبحث عن سور الآه، عن رائحة ما

عن عطر خليليّ لا يعرف أحد منفاه

يعتصر الراوي قيثارته في الطرقات

هبط علينا كالحرقةِ

لما راح يغني

عن برقِ خليليّ يلمع في صخب الحارات

قرب رواق الشام.

ها أنذا

أسقط مغشيا عليَّ في نفق التشبيه

تصرعني تفاحةٌ مثل كاف الجبل في الأناشيد

جرارهم ترشح بماء الصيف

قبعاتهم الكنعانية مجدولةٌ من سعف التلحمية

هزّي قلوبهم مثل دِلْبِ الدالية

تسَّاقط الأغاني والمواويل

من حبرون الدلعونا إلى جرار الإسكندرية

من عتابا بني نعيم إلى مواويل الصعيد.

أُمسكُ الجمرة بملقطي

أسندها على عرش النارجيلة كعروس

وأقلّبُها كما الأوجاع

أخضُّها بين يديَّ كقربةٍ بدويةٍ مثل هواجسي

وأنا أمصمص حبّات التوت

أرمي ألياف الخوف عن كاهلي

يتصاعد الدخان أفعى تتحدّد كالريح

في طمأنينة النيل النجاشي

في شروش جذورها الريحاوية

في ذيل ثوبها الطاووس

إلى قبة الصدر المطرز بالأغاني

ثم فاجأني السّيد دون تمهيدٍ أو توطئة – قائلاً:

هل تشرب شاياً أخضر أيها السّيد؟!

في شارع محمد علي، أوْ في حارة المناصرة!!

لي حارةٌ في القاهرة أيّها السيّد.

قلتُ: الإيقاعُ سيشربني في الوصف الرنَّانْ

قلتُ: الإيقاعُ يساعدني في ترميم الخان

الإيقاع هو الوطنُ الضائع بين التفعيلة والبحرْ

الإيقاع هو الطوبةُ إن كانت حمراء

حين نُؤاخيها بالإسمنت وحين نغازلها بالماء

أو حين نرشُّ نشارة هذا اللوز على أرض المقهى

بَعْدَ غيابْ

قلتُ: الإيقاعُ خليليٌّ كصلاةٍ عند الأعتابْ

البحرُ خليلي أيضًا والتفعيلةُ تهطل مطراً

من جرح السيَّابْ

الإيقاع انهمرتْ دفقتُهُ من كرمتنا الأولى

حين ابتدأ الإيقاعُ على وقْع الخطوات الأولى

فوق ظلال البركة، عند السفح البردان

وانصهر الحرف الكنعاني البحري الجبلي

بمياه النيل ورمل الشطآن.

ظلَّ الإيقاعُ يُبصبصُ لامرأة قُدّامَ المقهى

حتى غابت آخر رفَّة خيطٍ في بستان جدائلها

وتلاشت آخر نقطة شمس بين الثديينْ

وانفجر الإيقاعُ حزيناً

لما شاف نقاط التفتيشْ

ولكي يتمكن من تهريب الأحزانْ

أخفى التفعيلة في جيب قميص شفَّافْ

في الصيف الجافْ

ثم سقاها شَرِبْات الحبر السرّيْ

زَيَّنها بنخيل، غطّاها بقشور الأصدافْ

وأراهنُ أن العنب خليليُّ والحجرَ نُعيميٌّ

واللوزة لا تعرفُ كيفَ تخاف.

لكنْ لَّما اكتمل ضجيجُ الحوض بقرقعة السكّانْ

حَنَّ إلى البحرينْ

فتأبط عكَّاز قصيدتهِ المسمومةِ وانفجر كبركان

دفن التفعيلة في قلب البحر على شجر المرجان

في قاع منسيْ

مثل خليليْ. مرّتْ كوكبةُ التفاح ورهطٌ من غجرٍ قدّام الخانْ

ناداها في فجرٍ من ضوءٍ طازجْ

كي تصلح أمر الأوزان.

في مفترق المدن الكبرى دمعتُها تهذي للريحْ

يا تفاحة قلبي الخالي في غصنٍ من شبقٍ في الروح

إسألْ عَنْي عُشْبَ جبالي إسألْ يا جبلاً من شيح

خشبُ التفعيلةِ مُبْتَلٌّ والبردُ من البرد يجوح

البحر الميّتُ ينطرني الملحُ بِرِدْنَيّهِ يَفوحْ

غمغمــتُ طـويلاً فـي ليلـي وفتحـــتُ البـــاب المفتـــوح
فـــي طاعـــةِ مـــريمَ تمتمتـــي فـــي عنـــبٍ كـــالعلمِ يلـــوح
منغلـــقٌ مـــرجُ ســـوالفها ضـــوءٌ وغمـــوضٌ مَشـــروحْ
فـــي طاعـــة مـــريمَ أشـــعاري فـــي عشـــقِ الـــوطن المـــذبوح

آلو الأغاني، بِتْقول معاني، في وَصْفِ خوفي، مِن السنينْ النيلْ نجاشي، بِقولوا بِضْحَكْ، وهُوّا ماشي، لكنْ حزينْ ضِحْك توا سَمْرا، وفيها خُضْرا، مَلْيانْ طَراوا، مَلْيانْ حنين. قام الخليلي، تَرَكْ حبيبْتو ، في جَبَلْ جوْهر، حَمْرا العيونْ وظلّ طيرو، مكسور شُعورو، قاعدْ ينوِّحْ، علي الغُصون راح الخليلي، كَسَرْ بُحورو، في ليلا ضَلْما ، بْقَلْبِ المُتون النيلِ قَلّلوُ، وحِيْاةْ عُيوني، راح تبقي هُوني ، يا ابنِ الخليلْ تعالْ وشوفوا، أكرمْ ضيُوفو، من عَهْدِ خوفو، عاشوا بأمان.

بني لِطيرو، وعَلَّي مقامو، على الزمان

رَبَطْ حصانو، في حيطِ خانو، وصار إسمو خان

أوْجِهْ الفيشاوي، قام قلَّلو إسمعْ، بدّي مكان

فيهِ الحبايبْ، يلتمّوا عصراً ، عندِ الحيطانْ.

والقَهْوا مُرّا، متل الأغاني، على الصواني، فوقْها الدخان

والميه مِنّو ونراجيلو تِروحْ تجيلو والطاوِلاتْ

كان الخليلي، بشوفْ بِحلْمو ، عميَّ نجيبْ

فِ إيدو ريشا، بيكتبْ رِوايا، عن الحبيب

صوتكْ حنيني، يا فلسطيني، يا بو العلاما ، على الجِبينْ

إيَّاكْ تطاطي، لأيَّ واطي، على البواطي، إياكْ تلين

في كلِّ مطرحْ، أتركْ إشارا، في كلِّ نجما، للطيبّين

إشربْ حنينكْ، واتركْ قصايدْ، على الشواهدْ، في الجبَّاناتْ

مـات الخليلـي، عـاش الخليلـي، فْ خـان الخليلـي ، عُمْـرِ الخليلي

ما خانِ عَهْدو، عُمرو ما ماتْ

١٩٦٥، القاهرة

* قصيدة تشمل أربعة اشكال شعرية: (قصيدة التفعيلة– قصيدة النثر– القصيدة العمودية– الشعر اللهجي المصري).

٥ - الخروج من البحر الميت

كعشب البراري أنا

نديٌّ كتفّاحة الغيم أسبحُ في لُجَّةِ الكهرباءْ

حنونٌ كوحشة طفلٍ رأى أمَّهُ الغائبة

تشعلق في ذيل ثوب الحزينةِ فانكمش الأرجوانْ

على قبَّة الصدر واندلع الأقحوانْ

على ساحل النهر، شفتُ طيوراً تنام.

رأيت قطيعاً من الحور كدت أقولْ:

نساءُ أثينا اغتسلن على العين مثل العناقيدِ

قرب غيوم الصباح

ركضن إلى طاولات المصيفِ

اقتلعن الأسى من جبين الكلام.

ولم يكن البحر منتبهاً لأغاني الحمام

رأيتُ المدى زرقةً مثل فتنةِ راعيةٍ

في سهول الشآمْ.

تلاحق أغنامها الشاردات من الطخِّ

بين الصخور

فراشاتُ قلبي، حصي الماء في الليلِ

بللّهُنَّ الحبور

رَماهُنَّ سيلٌ إلى الرمل قبل الهجير

توسَّدن بحَّة هذا المغنّي الجريح

أراهُنَّ قرب نجيل المساء

يُبايعن غزلانَ بريَّة الله/ ثمَّ جلسن هنا/

على شاطئ البحر مثل زجاج الخليل.

كعُشب البراري أنا

كوديانك المعشبات موشَّحةً بالدماءْ.

كوجهكِ لو كنتِ ناطورةً للكرومْ

كعصفورةٍ في السواقي تحومْ

أراني كنقشٍ قديمْ

أُغربل شمسي على التلِّ علَّ الغيومْ

تُطاوعني مثل أرنبةٍ من بياضْ

أسافر في سفن الملح نحو الرمادْ

إلى طبقات الرخام

أسافر في قارب الرحم نحو السدودْ

أغطي شجيرات هذا الرصيف الأنيقْ

سأحلم يا لعنة اللّذة النائمة

وأنت مُلَوَّحَةُ الخدّ، سمراء، عاريةُ الرأسِ،

منفولةُ الشَعْرِ

تجرين تحت السماءْ

كأنكِ سلطانةُ البحر، جمرةُ هذا الفراقْ

تبوسين أقدام هذا القتيلْ

سمعتكِ قبل انحسار الغيوم وقبل جفاف العيونْ

سمعتكِ قبل خروج الظباء من الوكر في الفجرِ

في الصخر عند مسيل المياه

يُراقبن من هامش الليلِ زلزالَ هذي المتون،

رحيلك،

لا ، لن يكونْ

رحيلك كالبحر كالشمس مثل رحيل المطر

تعودين عبر الشرايين قبل أفول القمر

تعودين مثل الحمام إلى بيتك الأخضر الأبديْ

وبين جزائر هذا الزمان

تقيمين عُرساً لأبنائك الطّيبينْ

تقيمين عرساً لأبنائك السُمْر، جاءوكِ

من صخر هذي الجبال الصبَيِّة قبل المغيبْ.

رحيلك، لا لن يكونْ

ولن يأكل البحر أطرافك الحجريَّةْ.

سأحلم يا لغةَ الأولين

سأحلم يا أيّها الأكحل البدويُّ الصديقْ

سأحلبُ نهد صنوبرةٍ رائعة

سأشرب نبعاً بكامله كي أفيق

من الغفوة المُرْعبة

فَبَيّضْ سَمارِكَ بامرأةٍ أرنبهْ

وكحّلْ جفونكَ بامرأةٍ متعبهْ

وهيءْ لكنعانَ بيرقه بعد هذا الرقاد العتيقْ

ليشعل ألوانه الأربعة.

اللون الأزرق .... لا

إلاّ إنْ كان الأزرق مفتوناً بالفتنة.

اللون الأحمر .... لا

إلاّ إنْ كان الأحمر قرميداً أو حجراً

في طين الأعماقْ

اللون الأسود ... لا

إلاّ أن كان حريقاً لفتات البركانْ

لستُ الصَدفَة حتى أصبغ وجهي بالألوان.

طينةُ وجهي من حجر الصّوان الأسود في الوديانْ

شلاّلاتُ شراييني، مرجانْ

الشعر النابت في صدري

في صدغي في الساعدْ

فلقد أعلنت على رأس الشاهدْ،

ملعونٌ من يسمع قهقهة الجانْ.

هل تعرفني يا هذا

إني من هذا الرمل الأصفر

إني من هذا الطين الأحمر

في هذا البحر الميت أحيا كالدوريّ البدويْ.

أشربُ كأسَ نبيذي من وجع الدالية الشقراءْ

أعصرها، أستنشق عطر الأجدادْ

أتمزمز بالليمون مع الحجل المشويْ.

في غابة بلّوط تتراكض فيها غزلانٌ ووعولْ

أرسم ألوان حبيبي المعلومْ

قلبي من هذا البحر الولهانْ

اللون الأزرق ... لا

اللون الأحمر ... لا

اللون الأخضر ... لا

تلك مفاتيح الموت الأوحدْ.

سأعيد العاصفة النائمة على صمت مكاتبها

ألقيها في خطّ النار

لن أصبغ وجهي بالألوان المختلطة

حتي لا يدهمني العارْ

وجهي من هذا البحر المخمور

قلبي من هذا الزمن السكرانْ

الأبيض لوني – إن عُدت وحيداً كالنجمة

أو عُدتُ كبفت الموتي

سأكون وحيداً في شرُفُات مطارات المنفى

سأكون أخيراً حين تموت الأشواق

سأعيد إلى الألوان ربيع الألوانْ

يا سينات الحلم ويا الوعد المقهور.

العالم يبدأ من إشراقة قلبي:

بردي سوف يصبُّ قليلاً من دمه في كأس الأردُنْ.

النهر المنشطر الروح يصبُّ قليلاً من مطر الصيفِ

على بئر السبع العطشانْ.

البحر الميّت سوف يرشّ الملح على مائدة الشام.

القدس تصاهر بيروت.

بيروتُ توزع بسمات تسامحها.

شجر الغوطة يرقص سكرانَ بعمَّانْ

لفعولنْ

طعمُ عصير الرمَّانْ

أما فعلنْ فانظرْ في شعر فسائلها

تتناسل ألواناً خلف الألوان.

مريم تنتشر قلائدَ من صَدَفٍ حول الأعناق.

ثمَّ توحّدنُا ألوان الروحْ

مشروخٌ قلبي والضلع كسيرٌ والصمت ندوبٌ وجروحْ.

ولكنني ساطعٌ مثل عشب السطوحْ

وإن جعتُ ... لكنني لا أبوحْ

سوى للجبال التي أشعلتْ نارها

وللموج للرمل، يا سيّدي يا تراب

كعشب السطوح أنا

ولكنني ... لا أبوح.

تقول البراري

إلى مطلع الفجر وهي تقولْ

أتيتكِ ... لو تسمعين العويلْ

عويل المدائن غارقةً في صهيل الخيولْ

أتيتك في النوم – طيفاً عزيزاً عليك،

ولو في المنام أجيءْ

أزور الأحبةَ في الحلم كالحلم، أقرع باب الذهولْ

وقالت وقالت وقالتْ

إلى مطلع الفجر وهي تقول

بكت عندها وحكت أنّها قد رأتْ أهلها الغائبينْ.

ولم ترتشف شفطةً من حليب الأرقْ:

ينام وحيداً ويصحو وحيداً ويبكي وحيداً،

يقهقه من فرط غربته ليشدّ الجناحْ

وتبكي الخرائب من صحوةٍ كالرقادْ

أتيتك في ليلةٍ مُرَّةٍ كاحتراق الفراقْ

وكنت أقصّ عليك حكايا المدائن بعد الغَرَقْ

وأحكي عن الشجر المحترقْ

يعانق نرجسة النبع بعد العناقْ.

وعن قمر الشام كان مُحاقاً

فصار زُقاقاً فدربا .. وصار طريقاً

ولمَّا بلوتُ الليالي رماني

إلى جزر الصمت فجراً

وصرت زماناً لقيطاً.

وقال: أعود سحاباً وخمراً وخبزاً لكم في الشروقْ

أعود لكم من عروق الصخور

–إذن صرتُ طفلاً عجوزاً يسابق حكمتك البكْر

فوق الحصانْ

إذن صرتُ شمساً ترى قاع بحر الأمانْ

إذنْ صرت فوق جبينكِ تاجْ.

كقطيع الغنمات البيض المذعورات من الذئب المذعورْ.

ورمتنا بالزبد الأبيض موجاتٌ من صحو يعلو

موجات تهبط أو تتوارى أو تنعس مثل

يمامات خلف الصخر الوهَّاجْ

كنّا نتسلق أعمدة الضوء البحرية

ونرشُّ الملح على الموتى نخلطه بسناج

قيل لنا: إنَّ العاصفة الغربية

ستجيء لتحرس أطراف البحر الشرقيْ

لكن المدن الغارقة الفضيّةْ

شَقَحَتْ نجمات الأهل بسكين

الريح الشرقية غضبتْ

قَلَبَتْ سفن الصيادينْ

فوق الشطآن الصخرية.

غضب الرملُ وفَنْخرَتِ الخيلُ وثار عجاجْ

قالتْ أمي: بعد خروج الموتي يا مولاتي

من هذي المدن الصامتة العزلاءْ

قالت: يأتون من الريحْ

سأمط شفاهي أيتها الأمواجْ.

تقولون قد شرَّقوا، غرّبوا، قَبَّلوا يا حمامْ

وشمّوا رياح الشمال وكانت كغربتنا الباردة.

مواويل أُميّ على تلّةٍ موحشة

تعاند قسوة ما حدث البارحة

إذا دشرّوا تينهم في الصباحِ يكون التسولُ

كالشاهدة.

وماتوا على صخرةٍ بين بُصرى وبيروت،

ماتوا على حجر مقمر عَشِقَتْهُ النساءْ

نجوم النوى تستغيث وتفّاحها والخيامْ

بكت حوله فاتناتُ الكلامْ

بكينا طويلاً ولم يبك أعداؤنا مرَّةً واحدة . !!!

لقد جئتكمْ– في دمي شهوةٌ للغناءْ

لأعزف هذي التلالْ

ولملمتُ قبل مجيئي إليكمْ

خرائط للمدن الغارقاتْ

حملتُ لكم من رمال الجزيرة قمحاً

وكوفيةً وعقال

حملت لكم من كتاب الأماني عِظاتْ

ومن جبل الشام هذا القرنفل والثلج والياسمين

رأيت أبي في خليج الشمال يبيع الأسى للشمالْ

يغني لغزلانك الشاردات قصائد عشقٍ حزينْ

يطارد وعلاً من الملح خلف السدودْ

ويقتلع المرمر البكر في غابة من حديدْ.

وجدّي

إذا كنتم تذكرون الذي صاغ وهْج الحروفْ

ووزّع في العالمين اللغاتْ

وفي شاطئ النيل ذقت اسمرار خدود البناتْ

فقلت إذا احمر خدّ البُنيّة هاجت جموع الرجال

لقد قلت يا سيدي ما يقال

ومال لا يقال

ولم يبق إلاّ نقوش الخرائب والمدن النائمات

فماذا تقول

وماذا أقول

وماذا نقول

أنا أعرف البئر – يا سيّدي– والغطاء.

ها أنذا قُدَّامك أهذي وأشير إلى اللوح المحفوظْ

العالمُ بين يديّ حظوظ

وسأحكي عن وطن يأتيني في منتصف النومْ

يصرخ بي: يا مولانا: أين القوم؟!

قلت له: بالأمس ظعائنهمْ عادت من بحر الملحْ

حاملةً عطر العذراء

ناسية جسد العذراء.

إذنْ: غدروا كالغدير ومَرُّوا مرور السواقي

إذن تركوني هنا في مدائن هذا البياض الرماديّ

أشكو موانئها ثم أعشاش وقواقها بانتظار النعوشْ

إذن صرت مثل التماثيل منقوشةً في الصخور.

– لماذا؟

– لأنك تهرب من قَدَر أعرجٍ ... لا يموتْ

لأنَّ البلاء إذا عمَّ نامت عيون المدائن تحت المياه

لأنك كنت كثيرَ الكلام كثير السكوتْ

لذا ستظلّ هنا في المقابر تحت البحار التي لا تعيش

نعم وتموت هنا قبل يوم الخروج وقبل قدوم الجيوش.

– إذن غَدَروا كالغدير ومَرُّوا مرور السواقي

إذن تركوني هنا مثل راعٍ وحيدْ

يحوم ويسأل عن ظلّ أشجارك الباسقة.

يحوم ويسأل في الرمل طيراً عن النجمة الشاعرة

يحوم ويسأل ... لا تسأل الكاهنة

إذن تركوني أغازل شمس النهار

هنا مثل عشب السطوح

ولكنني لا أبوح.

الموجةُ سلسالٌ ذهبيٌّ تجري خلف الموجة.

فاتنةٌ من عنب تغزل مكبوت الأشواق الناريَّةْ

خلف الجفنين المرسومين ذنوباً وذنوبْ

حدّقْ في المدن الغرقى في البحر الميتّ عند الأقدامْ

حدّقْ في صمت التطريزِ على الإفريز

شُبَّاكٌ مفتوحٌ وجبال الملح تذوبُ تذوبْ.

أسمعُ طقطقة الأوهام على داري/ وعواء امرأةٍ في

جوف البحر/ عمودٌ من ملح ثم يغيب.

خرج الشاعر مجروحاً من قلب المؤَّال

يا أهل الأرض أفيقوا من هذا النوم المُزْمنْ

لكن الناس اندمجوا في التطبيلْ

حيث انتصر البركان الأرعن

من خاصرة البحر الشرقيّ يكونُ الأردنْ

ومن البحر الغربي تكونُ فلسطينْ

مع هذا يلتقيانْ.

يا هذا، إنْ نادانا كنعانْ

١٩٦٦، القاهرة

٦ - أضاعوني

مضت سنتان .. قالت جدّتي وبكتْ

وأعمامي

يهزّون المنابر، آهِ ما ارتّجوا

ولا ارتاعوا

مضت سنتانِ

قال الشاعر المنفيُّ حين بكى:

" أضاعوني وأي فتى أضاعوا".[١]

مضت سنتانِ ... أرض الروم واسعةٌ .. وَجَدّي

دائماً عاثرْ

وسوق عكاظ فيها الشاعر الصعلوكْ

وفيها الشاعر المملوكْ

وفيها الشاعرُ – الشاعرْ.

وأعمامي

يقولون القصائد من عيون الشعرْ

وأمي

مُهرةٌ شهباء تصهل قبل خيط الفجرْ

تفُكُّ هنا ضفائرها

وتلبس ثوبها الأسودْ

وأمّي تقرأ الأشعار في الأسواقْ

وفي الغابات عند تجمُّع الأنهُرْ

وأمّي أنجبت طفلاً له وَشْمانِ يشبهني

فأنكر كل أعمامي وراحوا ينشدون الشعرْ

وراحوا يشترون القول بالميزانْ

وأمي أَنْجبتْ طفلاً له جرحانْ

فما ارتجَّوا ... ولا ارتاعوا

وكان الطفل ينشدهم قصيدته:

"أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا".

عرّجتُ صوب مدائن النوم الكسيحة أستغيثْ

الكل أقسم أن ينامْ

قَدَمٌ على قدمٍ ومثلُك لا ينامْ

حجرٌ هو المنفى وصوّان وشوك من رخامْ

قمرٌ وتفّاحٌ وبرقوقُ الشآم

بيني وبينكِ بعضُ ما هتف الحمامْ

أمّا زمان الآخرين

فَهُوَ الكريهْ

يا هذه المدن السفيهة إنني الولد السفيه

لو كنتُ أعرف أنَّ نارك دون زيتْ

لو كنتُ أعرف أنَّ مجدك من زجاجٍ

ما أتيتْ

أنت التي خلّيتني قمراً طريداً دون بيتْ

يا هذه المدن السفيهة عندك الخبر اليقينْ

أنَّ الذين أتيتُهمْ صبغوا الوجوهْ

وتلفّعوا بالصمت في ذاك البلدْ

وأنا أريد بني أسدْ

قتلوا أبي وأستأسدوا

ما عاد ينهرهم سوى الخيل الضوامر والسيوف

يا هذه المدن السفيهة يا مقابر يا فجاجْ

أسقيتني ملحاً أُجاجْ

والزهو قد موّهتهِ ... وولغت فيهْ

بيني وبينك خيط وُدَّ فاقطعيه إقطعيهِ

إقطعيهْ.

طفتُ المدائن: بعضهمْ قذف القصائدَ

من عيون الشعرِ

يرثي والدي

والآخرون تنكروا: إذهبْ وربُّك قاتلا[٢]

وكأنَّهمْ ما مرّغوا

تلك الذقونِ

على فُتات موائدي

"والله لا يذهبُ مُلكي باطلا" [٣]

والله لا يذهب ملكي باطلا

وبكى حصاني فارتميت من التَعَبْ

وسمعتُ والينا يقول وعينُهُ

فيها القذى

"لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى" [٤]

حتى تُقال على مسامعه الخُطَبْ

حتى تُقال على مسامعه الخُطب.

١٩٦٩،القاهرة

---

(١) الشاعر العرجي

(٢) القرآن الكريم: إذهب أنت وربك فقاتلا....

(٣) امرؤ القيس

(٤)المتنبي.

٧- مواصلات إلى جسد الأرض

تحدثت عن وطني وأنا أشرب الحزن من شفتيكِ

عصير المودّة، ثمَّ تقوقعتُ في ردفكِ الأيمن المستباح.

تعلمتُ منك الفلاحة في التربة البكر

منكِ تعلمتُ كيف أغوص لبئر الوصولْ.

لأدفع زهو شبابي على شاطئيكِ

رأيت الطحالب والسرخس الأخضرَ الثائر

النافر الهائج من جرأتي في الدخولْ.

رعيتُ شفاهك مثل حصان البراري

عدوتُ على سفحكِ المتموجِ مثل مياه الهطول.

وكانت جبالك تمشي وتصرخ مثل المصابيح

لو حرّكتها الرياح

نفرتِ، تلفّعتِ بالصمت قُلتِ: استرحتُ

شهقتِ، شهقتُ، كأنّكِ كنعان أورثني

مجدَ هذي الحقولْ.

رأيت الجبال تموت، رأيت نشيجَ السُيولْ

رأيت الطحالب تهمد، متنا، هَمَدنْا

تصحّر قلبك نقشاً من الملح قرب الخليل

قُبيل شروق الصباح

تحدثتُ عن وطني وأنا رابضٌ في عروقكِ

في ردفك الأيسر المُستباح

سلاماً إلى غازلات النسيجْ

سلاماً إلى راعيات الجِمال.

١٩٦٧ ، القاهرة

*** غناها اللبناني عصام الحاج علي، عام ١٩٧٧ وصدرت في باريس ضمن شريط يحمل عنوان القصيدة مع أغانٍ أخري.**

٨- مذكرات البحر الميت

جدّي كنعان لا يقرأ إلاّ الشِعْرَ الرصينْ

يلعب الشطرنج أحياناً

يلاعب أحفاده، يتشعلقون بفرسه البيضاء

أضِفْ إلى ذلك جدّتي

وهي من أصل هكسوسي

لكنها تزعم أنها نبطيَّة

كانت ترعى بقر الوحش في بادية الشام

تكتب على القرميد الأحمر أشعارا حزينة

تحصد شقائق النعمان في أول كل ربيع

ترقص في ملاهي واق الواق

١- رقصة الثرثرة

٢- رقصة الفخر

٣- رقصة الهزيمة

عينا جدتي زرقاوان كالبحر الأبيض

لها ضفائر لولبية شقراء كأفاعي الماء

وكفلٌ يتماوج خلفها كفقمة في بحر الشمال

لهذا تزعم أحياناً

أنها تتقن الهيروغليفية

تحول الحجارة إلى سجون

تذرذر التراب في وجه من يديرون الشمس

تسرقُ أخطر الوثائق من خزينة السلطان.

جدّي كنعان

أبيض مرقّط مثل أُم بريصْ

يصطاد الحمام في أعالي جبال كنعانيا

قابلته الكاهنة

ذات الأنف الطويل

---

* قصيدة نشر [مجلة مواقف، العدد الثالث، ١٩٦٩، بيروت] ونشرت أيضاً في {الملحق الأدبي لجريدة الأخبار، المصرية. بتاريخ ٣/ ٧/ ١٩٦٩.

الشعر المنسدل على الكتفين

الساق الملساء كالزبدة

الوجه الأحمر

الحاجب الكثّ

ضحكت له كاهنة البوادي

حتى استرخت أعضاؤه

شرب نبيذ الدير الجبلي

رمت جسدها البضّ عليه

عندئذٍ قال لها:

خذي ما شئت من التراب!!!

تكبرني جدّتي بعامين

الشعر الأبيض في رأسها يُغنّي ثلاث أغنيات

أغنية للذكرى

أغنية للحاضر

أغنية للموت

غنّيتُ لثوبها المطرّز من كل عقلي

عزفتُ نصوصاً من كتاب النبيذ

رندح صوتي غزلاً لرمّان رأس العين

في عيد ميلادها في حقول القمح

كانت الغزالات يرقبن دموعي

سكرتُ من عصير السفرجل المشمس.

شربنا دنان الخمر حتى قالت الذكرى:

لم أشرب في حياتي كهذه المرّة.

لعبت مع جدّتي كرّة السلّة وكرة الماء

وألعاباً أخرى يعرفها المحكمون في المباريات.

شبعت جدّتي صرخت أنها متعبة

رجعنا آخر النهار

وكانت تكبرني بثلاثة أعوام:

الندى كان طافحاً على حبّات العنب البللّورية

كريستال.

من بيت لحم إلى الخليل

في الطريق التي تؤدي إلى قلبي

رحت أقول لها: توهّجي، توهجي

أرقصي لي وحدي رقصة الخضر حين طعن غريمه

قالت: هذه مدن كلها ترقص كالخنجر

ثمّ جرّتني من يدي إلى أعالي – مادبا

لكنني لم ألمح الخليل

عندئذ خلعت قميصها، أركبتني على كتفها

طارت جدّتي نحو فضاء لا ينتهي

قالت لي: إقرأ.

في الطريق إلى صفصافة البيت

كان الرعاة

حاملين شبّاباتهم وأحزانهم

كانت تحكي لي عن سرقات الوقواق

ذكرت لي – حرفياً – أسماء اللصوص

وعندما ذكرت لي اسمه

هتفتُ إذن هو بعينه هو بعينه

من سرق مشابك الغسيل

بخطّافهِ الذهبي

ضحكت جدتي وقهقهتْ:

– ليس هو يا ولدي

إنه أحد تلامذته.

لأمّي ضفائر سوداء كليل الخليل

تنشرها على ظهرها عندما يكون عاريا

كانت تضمّني إلى صدرها في ليالي الشتاء

أما هذه الأيام، فإنها تخاف منّي

لأنها قرأْت مسرحيات سوفوكليس كلها.

عسل شفتاها من نحل الكرم الغربي

نهرٌ من لبن نعاج البريّة ثدياها

لها عينان بحريتان كأجنحة الحمام

في نشيد النصوص الكنعانية.

أميّ لا تحبُّ التشبيه وتمقت الكناية

تكره الكرنتينا على جبل في الخليل

حيث الدواء كله أحمر.

إنني ابنُ أبي

واسألوا ليلة الزحف في عريشة التين

أرسلتْ لي أمي مكتوباً قالت فيه:

إنها تعشق في هذه الأيام ولدا يشبهني

تمنيت أن أعود إلى رحمها

بعد أن قطعت المسافة الأولى

من باب الأسباط إلى بولاق الدكرور

أمكنة لا تعنيكم إلَّا في الأزمات.

ولدت أمي في الكرمل العالي

ولد أبي قرب سدود الملح

في قاع العالم

أما أنا فسقطتُ فجأة قرب عوسجة الماء

كانت أمي عائدة من غابة الحطّابين

ترجّيتُها كتلميذ أن تلدني قرب عوسجة الماء

في منتصف المسافة المترددة

حيث الذئب والدم وإخوتي

تمنيتُ أن أصل الكرمل المعشوشب

بحقول الملح في البقعة الواطئة

قالوا لي: نصفك الآخر سيقف كالجدار

عندها هتفت بأعلى يقيني:

إنني ابن أبي.

تفكّ أمي ضفائرها مثل كل الكنعانيات

في أول أبريل

تلبس ثوبها الرمادي

في الثاني من تشرين الثاني ومنتصف أيار

تبحث هذه الأيام عن لونٍ أشدّ حلكة

للشهر الذي يليه.

تقرأ أمي الأشعار المحلية والأجنبية

الروايات التراجيدية والهزلية

لكنها تكره الروايات التاريخية

وهذا هو السّر في أنها تشرب

ثلاثة كؤوس مركزة في ليلة واحدة.

وتزعم أن هذا ينقص من حكمتها.

لأبي شارب أسود تعشقه النساء

لذا سقطتْ أمي تحت قدميه من أول الأغنية

كنت أنظر إليهما في ليلة العرس من ثقب الباب

حيث فقدت أمي عفافها لأول مرّة

لكنهم أسموه – فيما بعد – زواجاً.

رمتني أمي قرب غزالة العوسجة فأرضعتني

تمنيت أن أنمو في الفلك السابح في بحر عكا

لكنني حيث كبرت وجدتني مرميا

بين النخيل وكلاب البحر

وبدأت أصرخ بأعلى شكوكي والصقور تجرحني:

صحرا

ماء

صحرا

ماء

صحرا ماء!!!

وبطبيعة الحال: لم يسمعني أحدْ!!!

لم يسمعني أحدٌ يا أبي

جدّي كنعان، بحّار بدوي

يوزّع الحروف الجديدة واللغات غير الدارجة

قيل: جاء على فرس من عسير

على مركب أبيض من كريت

قيل: مُهرٌ من اليمن في سفينة أثينية

قيل، ماذا يعني ذلك الآن

فسائل الحروف فرعنت في العالم.

كان يخلط الحنين بالزجاج والفخار

ثم يسقيه بدمع الأرجوان

يصلّي في الجامع الأبيض في صور

يقرأ الصحف الأولى في حيفا

يشرب الخمور الفاخرة في مطعم البحر

يطلب الثأر قدّام حجر مؤاب

يأتينا آخر الليل من غوطة الشام

عينان حمراوان بلون أصداف صيدا

شعره مشعث كغابات الأمازون

وإذا لم تصدقوني – أسألوا سهل البقاع.

تترك جدتي سجّادتها عندما تراه قادما

لأنها فرصتها الوحيدة – تغطيه تحت إبطها

جدي يقرأ لها قصيدته "كنعانيا" .

ثم يعرّج أمام مُذَهّبات العرب

يقرأ لها شيئا من الحب الرمادي

شيئا من الجنس الأثيني

شيئا من الكذب

حتي يغدو كل شيء فاقعاً وملتهباً

تحمر العروق في وجنتيها

عندئذ تطلب جدّتي الثأر الحميم

تسأله عن كاهنة البوادي

وتحوم في أرجاء الغرفة كالمجنونة.

توقف جدّي عن الهذيان

واستعدّ للرقاد الشتوي والندم

وقال لها يا مولاتي:

سننام حتى يأتي حزيران

عندئذٍ: نتذكر موتانا.

٩ - قمر جَرَش كان حزيناً

آنَ يا منزلاً عند باب الخليلْ

أنْ نقول الذي لا يُقالُ، الذي لا نقولْ

أنْ تَدُبَّ البراءاةُ فينا ونَخْضَرّ،

يطلعُ برقُ الجذورِ وعَصْفُ الشمَولْ

آنَ يا منزلاً عند باب الخليلْ

حيثُ كان الذي كان،

حين دفنّا صبايا الينابيع في التّلة العاليةْ

شاهداً كان هذا الهواء

شاهداً كان عرجونُ هذا النخيلْ

شاهداً كان هذا الَحجَرْ

القلاعُ العتيقةُ كانت سُيولاً من الأرجوانْ

السماءُ التي ... رَغْرَغَ الدمع، في مَحْجريها يجولْ.

لم تكن للخيول رؤوسْ

لم يكن في العيون ندى في الحقولْ

لم يكن للندى شَجَرٌ أو ثمرْ

الجنازةُ كانت بياضاً من الملح، كان البياضْ

صرخةَ القُبَّرهْ

لم تكن في المدى مقبره

الرمادُ يغطي تعاريج هذا الرحيل الطويل الطويلْ.

آنَ يا منزلاً عند باب الخليلْ

أن تطير اليمامة من أسرها فوق جسر الهوى!!!

نوغلُ في حقل الزيتونِ الأكحلِ،

نفرحُ إذْ نهجر موسيقا الباراتْ

عاصمة الأعمدة النورانية نادتني: يا كنعان الغاباتْ

وشوشني الثعلبُ: يا هذا مَروا تحت الصفصافة في الليلْ

تركوا رُضَّعَهُمْ في أحضان غزالات البريَّةْ.

صدّقتُ البلبل حين اعتدلتْ قامتُهُ وروى لي:

لم تكن الغابة دائمة الخضرةْ

لم يكن النهر عميقاً في أغوار الروحْ

أخذوا شاراتٍ من طمي النهرْ

أخذوا سيماهمْ، تركوا دمعاً وجروحْ.

نتنسّمُ رائحة العشبِ قريباً من سد مكسورْ

ننسى أصواتَ الباعةِ في أسواق النهب وننسى

في هذا الحقل المجنونِ، ضجيج العرباتْ.

كلّمتُ السَرْوَةَ في أعلى قلبي، أشعلتُ الحطب حنينا

ثمَّ سألتُ البلّوط القاتم عن تلك الخطواتْ

فازدادتْ ذكراهُمْ في الصمت رنينا.

كان رنينُ القاع يلاحقني في الأغوار

– لا تشربْ، لا تشربْ، لا تشربْ هذي الأخبارْ

تصفرُّ عروقك في ساح الدار

فَتّشتُ صنوبرةً في الغار وجرّحتُ الأحجار

ثم سألتُ رصاصات مرميَّةْ:

هل تركوا رمزاً محفوراً فوق جذوع الأشجار؟!!!

– لا تسأل يا هذا.. النجمةُ تهطلُ أسراراً في حقل الأسرار

قالت لي حبَّةُ بلّوط جفّتْ وعلاها الشيبُ،

اشتاقت للطوفان الأخضر... والأشعار.

سوف أحكي وأحكي وأحكي وإلَّا فقدت الصوابْ

عابراً صرتُ في مَهْمَهٍ من رمالْ

بعدما عبروا فوق نهر العذابْ

عابراً نحو نبعك، طُفت المدائن، عُدتُ أَشيل الإيابْ

عابراً صرتُ في مُدُني، غجريَّ الثيابْ

عابراً يا دموع الرمال التي صَوَّحَتْ

عضهَّا في الغيابْ

رجالٌ لهمْ في الجباهِ قرونْ

ولهمْ في الشطوط نساءٌ يُضاجعن رمل الغريبِ،

ويُفَردنَ أثداءهُنَّ الجميلاتِ للعابرينْ.

عابراً يا أميرة كلّ الشطوط البعيدةِ،

هل يولد العشبُ تحت البساطيرِ، هل يعبر العابرونْ؟!!!

يا نساء القبائلِ

طرّزنَ هذا الشهيد على شجر القلب فوق جذوع الزمان الجديدْ

يا نساء القبائلِ

سجّلن أعمالهمْ... والشهودْ

يا نساء القبائلِ

ودّعنَ كنعانَ، قُلن لأطفالهِ... سيذوبُ الجليدْ

يا نساءَ القبيلةِ، أرضعنَ أطفالكنَّ حليبَ النشيدْ

يا نساء الجبال البعيدة مرسومة في الأفُقْ

يا نساء الحنينْ

يا نساء التمزّق قبل الوصول إلى النهرِ عَبْر السماءْ

يا نساء التصاريح والبوْحِ في الغُرف المغلقة

يا نساءَ حمامِ الرسائل والرمز والشرفة المُقْفَلَهْ

سوف أرسم هذي الوجوه الحزينة في قلب هذا التراب.

– يا هِلي– يزحفُ الرمل نحو المدينة يأكل منّا العظامْ

يا هِلي– يا اخضرّار الحقول التي لا تنامْ

يا هِلي– عبق النعنع الحجريّ مع الفجر يحملُ منكمْ.. سلامْ

يا هلي– وثلوج الشِتا، شَلَّعتْ شجر الحب في

معمعان الزمان الرديءْ

يا هلي– تتساقط منّا ثمار الكلامْ

يا هلي– إنّهم يعبرون هنا، يقطعون السهوبْ

يا هلي– قد دفنّا الجميلاتِ، حين عَبَرنَ المياه

يا هلي– إنَّ بيروت في دمنا إنْ سكنتمْ بها

قبّلوا نحو باب الخليلْ.. يا هلي.

شمّلوا باتجاه بحار الجليلْ... يا هلي

يا هلي، يا هلي، يا هلي

آنَ يا منزلاً عند باب الخليلْ:

أنْ نرمي حجراً في عين الغُرْبَةْ

ونَرُدَّ الخيل الجامحة الصفراء.!!!

١٩٧١،جرش، الأردن

---

* يا أهلي (بالعامية).

١٠- تُقبل التعازي ... في أيّ منفى

لماذا إذا الوجه منكِ انحنى

نبيعُ الدموع لفُرسٍ وروم

وما زلتِ في دمنا الصوتَ والسهلَ والمُنحنى

عتابا خلعنا من الأرض أحرُفَها الغارقهْ

سَلاسلُ مبنيَّةٌ من شهيق سواعدنا في الكروم

غيومٌ تلاحقنا في الغيومْ.

لماذا إذا جار هذا الزمان علينا وصارت نوافذنا مغلقة

نؤذّن في المؤمنين وأوجهنا في الرمال

وأدمعنا كاللظى مُحرقهْ؟!!

وآذانُنا بانتظار الذي سيدُقُّ النوافذ عند المساءْ.

لقد عبروا يا أبي

ليعتقلوا غيرنا

نؤذن في جرَّة الخوف، نرضع أطفالنا من نهود الجبالِ

ونرتقب السفن المارقة

أراكِ تنادين، بيروتُ تُعلنُ: كنعان مات فنكتمُ

أدمعنا في العيونْ

لأنّ الشوارع قد ملأتْها العيونْ

وبيروتُ تعلن كنعان مات فيا منزلاً في المنافي ابتدا

لقد أشعلوا النار في جسد الطفل– ويل العِدا

إذا ما رفضنا السَفَرْ

حَبَسْنا الدموع وقلنا: يجيء الزمان الجميلْ

وتبقين يا أمَّ سَعْدٍ، وتبقين يا نجمةً في الضبابْ

تظلّين مغروزةً في تراب النُجوعْ

لكنعان تبكي طيور الندى

لحصّادةٍ خلف منجلها في البقيعْ

تغنّي إذا ذاب صوت الصدَى:

---

* مهداة إلى الصديق الشهيد غسان كنفاني.

لقد نمتُ في الشمس والشمس تحرق فرسان هذا الكلامْ

وكنعانُ يا صُحْبتي وردَ الموت قبل هطول السحاب.

لقد كان برقاً يثور فينجبُ رعداً فتبكي الغيومُ وتبكي السماءْ

وما كان كنعانُ إلَّا حنين المُحبِّ لأحبابه الفقراء

وما كان إلَّا صهيل خيول الجزيرة، تشتاق للبحر والبحر صار بعيداً

وأهلك كنعان– قد عُرضوا للشراءْ

فيا دارها خلف أسوار عكّا، إذا ما نما العشب فوق السطوحْ

ويا مطر الساحل المستغيث بنا، لا تَقُل للأحبّة هذا المُحبّ ينوحْ!!!

فما مات يوم الذي مات لكنّهم قتلوه هنا قبل عام الرحيلْ

ويا ليتني ما صرختُ: الخليلْ

على بُعد مترين منّي ولكنها في البعيد البعيد البعيدْ

تزايد لي هجرها من جديدْ.

أقول وقد كسروا عودك الأخضر المستقيم

أقول وقد غرزوا في عيونك قبراً جديداً.. وقبراً قديمْ

تظلّين مثل اليمامة تبكين قبراً جديداً.. وقبراً قديمْ

تظلّين يا أمَّنا.. والنِصالُ تكسّرنَ فوق النِصالْ

خيامَ السماء وبوصلةً في سَدومْ

تظلّين فوق الأعالي نجوماً ومَلحاً بعين الحسود اللئيمْ

تظلين فوق الذي فوق ، يا قُرّةَ العينِ

يا أُمَّ هذي الجيوشْ.

إن اشتقتِ يوماً لقبر حبيبكِ، مرّي به في الصباحْ

وصُبّي عليه من الدمع، صُبّي من الدمع فوق الترابِ،

مُصابك فوق الذي نستطيعْ

ستخرجُ عكا إلى السهل رافعةً كفَّها للسماءْ.

ألا من رأى وجه كنعان ، في أيّ منفى نقيم العزاءْ؟!!

نقيم العزاء على التلّ، في النهر، في جبلٍ من رجوعْ

نقيم العزاء أمام سُرادق هذا النجيع

وفي أيّ منفى نقيم العزاء ؟؟!!!

لماذا إذا الوجه منك انحنى

نبيع الدموع لفُرسٍ وروْمْ

وما زلتَ في دمنا السهل والصوت والمنحنى

وما زلتَ في دمنا الصوت والسهل والمنحنى

وما زلتَ.. ما زلتَ خفقةَ أجنحة الشعراء الغِضابْ

وما زلتَ أرجوحة الميجنا.

١٩٧٢،عمّان

١١- القبائل

أيُّها الفتى المزّين بالعُنفوان، كما الفراشة

أيها الفتى الطاهر، الشبيه برق– أسود حُرٍ أبداً

عندما لا يبقى أحدٌ بين الصخور

لنتكلم ببساطة مثلما أنت وأنا:

في هذه الليلة سقطت نجوم كثيرة. (بابلو نيرودا)

-١-

ذاتَ يوم، يجيئكِ صوتي وتهتزُّ روحي كما الماء في سفح عيبالَ،

يخترق الرملَ والريح ، ينشر عطر حبيبي على مُدن الحبِّ

هذي البراكينُ يوماً تثور ويصبح هذا الرمادُ حَجَرْ.

إنّها ديمةٌ سَمْحَةٌ سوف تجبرُ غيلانَها أن تُوقّعَ فوق جواز السَفَرْ.

ذات يوم يجيئك صوتي وتعترفين بأنّي تمرمرتُ من أجل عينيكِ،

من أجل هذا الَمطَرْ.

صِحْتُ خلفي: خيولُ القبائل خلفي ويمتدُّ خلفي الصهيلْ.

-٢-

حين تجيءُ الشمس على الباب الغربيِّ أقول: يهلُّ شباطُ الخبّاطْ

أرقبُ قافلة الأنباطْ

أرقبُ سور الحرم وباب الأسباطْ

وكذلك علّمني الوالدُ أنَّ الأمكنة حنينٌ نهرسُهُ لكنْ يبقى

فاحفظ يا ولدي في قلبك بعضاً من ماء العينْ

تنفعك الذكرى حين يحوم على رأسك طيرُ البينْ

في لحظةِ عَدَمٍ من زمن الإحباطْ

-٣-

آخرَ الليل، حتماً تجيءُ الخليل إليَّ على شكل طفلٍ يفجّر فيَّ، شقاوتَهُ وأنا ساهمٌ والمقاهي هنا عَلّمتني السَهَرْ.

* مهداة إلي الشهيد الفلسطيني الخليلي باجس أبو عطوان.

صحتُ: إنّ الخليل رمادٌ، ترون، ولكنّها عندما يبلغ النهرُ أعلى الجبالِ تكون الخليلُ

رعوداً مجلجلةً، ثمَّ برقاً،

تكون الخليل شَرَرْ.

صحتُ: إنَّ الخليل صخورٌ تثور وحورُ يرفرفُ،

يحرسُ عين الخليلِ،

فمن ذاق طعم الخليلِ، ولم يحرس الماء مثل المطاريدِ،

معناهُ أنَّ التراتيل باطلةٌ والدعاء إلى اللهِ،

لا يُستجابُ، ومن لم يُحِبَّ جبال الخليلِ، كَفَرْ.

-٤-

قَدَمٌ في الريحِ وفي التابوتْ

قَدَمٌ أُخرى في بيروتْ

قلبي في المنفى يا باجسُ يخضرُّ قليلاً ويموتْ.

العودة عن نبع قرانا إثمٌ والغربة غولٌ مشبوهٌ والمنفى ثرثرةٌ وسكوتْ

قَدَمٌ في الريح وأخرى في بيروتُ.!!!

-٥-

طالعٌ شجر الحبّ، إيقاعُهُ في دمي والعيونُ تحاور هذي الصخورْ ألمغاورُ مأوايَ، روّضتُ هذي الوحوشْ

للمنازل أُمنيةٌ من حَبَقْ

للمنازل ضوءُ القناديلِ

في العرس رغم حراب الثغور.

كان لي منزلٌ غير أنّي القريب البعيدُ، البعيدُ القريبُ الذي يتشوّقُ نار الجبال، ومريمُ لم تأتني بالطعامْ

تُرى، عسكر الليل قد أوقفوها على تلّةٍ قرب وادي الزهورْ مذابحُ أهلي حصى وقبورْ.

-٦-

مَنْ تُرى هذه الطفلةُ، هدَّها التعبُ. تركضُ في سفح الجبلِ كالمهرةِ. في جبينها عصافيرُ الشرقرقِ. وفي عينها بكاءٌ أم أنّ ندى التين يغرقها بالحنين.

وعلى شفاهها عبقُ الدوالي. كلُّ طفلٍ في مدينتي يحملُ

الخضرة في عينيهِ، ورحيقُ التّفاح تحت لسانه.

الطلقـةُ المختطفـةُ مـن عسـاكر الأعـداءِ، تلهـثُ مـن طـول الاختباء.

الطفلة الفلاّحةُ بثوبها المطرّز وحزامها أحمر من بني قيس.

تركض غريبةً كنورس مجروحٍ تخلّف عن السرب.

ولـم تعـرف الطريـق إلـى النبـع المسـحور فـي الـوادي، رأتهـا الثعالب والجنادب تقفز مختالةً في حقول الذرة والقثّاء.

ثمَّ تابعت الركض ملتفتةً للوراء أربع مرّات وللأمام مرّة واحدة.

مَنْ تلك الطفلةُ القادمةُ من دخان الطوابينِ، كلُّ رغيفٍ صليبٌ على خدّهِ. في قلبها مدينة تضجّ بالأنين والصمت. كيف ستعرف حبيبتي علامة المخبأ. هل تركوا علامات؟؟ لا يخون الجبل. ثمَّ سارتْ على هُدى قلبها. الصبيّة الراكضة بمخلاتها كالمهرة . صاحوا فرحين:

إنّها مريم. !!!

-٧-

سأشبّهُ كلَّ الأشجارِ بأشجارِكْ

وأشبّهُ قافيتي الموزونةِ، مشيتكِ المختالةِ في حقل الذرةِ،

أشبّهُ أبياتي بجميل إزارِكْ

وأشبّهُ عينيك بِلَيلٍ حالكْ

أشبّهُ أحجار المنفى

أشبّهُ أضرحةَ المنفى

أشبّهُ أسوار المنفى

وأنادي في الناس وأصرخُ في زمن التيهْ

سأُشَبّهُ، حتى يذبحني التشبيهْ.!!!

وأقولُ لفهدٍ ولراسمْ:

زمنٌ يأكلُ منّا العظم، أقول بأنَّ الرعب يدبُّ بأوصال العالمْ

لكنْ ما إنْ تبزغ شمسُ السهرة حتى يغسلنا مطر التذكار

الحالمْ يقرأ هذا صفحاتٍ،"بخصوص الجملة..." عن لينينْ !!!!

ويغنّي هذا أبياتاً من مرثَية مالِكْ

سأشبّه روحي يا باجسُ، بشظايا الدور.!!!

-٨-

جاءتْ لي في آخر هذا الليل الموحش،

تركض كالطفلة، ما بين اليقظة والنومْ.

تحمل لي مخلاةً من زادٍ، ألقتْ في الوجهِ سلاماً وجبالاً من لومْ.

باجسُ ما زال يحاور صخر الوعر، فتنبجس الأصواتْ

يتغزل بالدالية المغرورةِ، يتمختر في الطرقاتْ

يطلع ما بين الزهرة والنحلة، يحمل شاره

يطلع في الليل، يلاعب أطفال الحاره

ويغني الفلاحين، يُسلّيهم في حقل الذرة الصفراءْ.

جاءت لي ما بين اليقظة والنوم

أشجار البُطمةِ في ذيل الثوب العِنَبيْ

الحرقةُ في القلب، الغضب العارم في الأسواقْ

وتقول: زمان الوصل يجيءْ

في قاع سحاحير الدُرّاقْ

قالت لي: كان فخوراً فوق الأعناقْ

جاءت لي ما بين اليقظة والنومْ.!!!

وتقول: زمان الوصل يجيءْ

في قاع سحاحير الدّرّاقْ

قالت لي: كان فخوراً فوق الأعناقْ

جاءت لي ما بين اليقظة والنومْ.!!!

أعرف أنَّكَ تعرف كل خرائبنا ودخان طوابين قُرانا

وتعانقها الآنا.

سأزور القبرَ، قرنفلةً حمراء سأُلقيها

هذا وعدٌ، كلّ قرانا ومدينتنا تخرج في العيدْ

لتزورك حين تطلّ عصافير الفجر،

تكون استيقظت من النوم السحريْ

ومددتَ يديك لنا بالزعتر والحنّون البلديْ

تهدينا داليةً من نور وقمرْ

وسنهديك هدايا: علماً، خارطةً كاملةً، كاملةً...

وجواز سَفَرْ.!!!

-٩-

هائمٌ والشوارع خُفّي وبعض القبائل تسعى لخلعي عن الوصل بالأرضِ والناس واللغة الماجدةْ

هـائم فـي الشـوارع، بعـض القبائـل، كـلُّ القبائـلِ، ترفـع لافتـةً واحده.

مَنْ مجيري، إذا طاردوني وكانت شعاراتهمْ واحده.!!!

الموازينُ هُمْ

البلاغات همْ

المسافات هُمْ

الطواويس هُمْ

وَهُمُ الموت في ليلةٍ باردهْ.

هُمْ رماد بلادي، هُمُ السجن والقبر والشاهدهْ.

الخرابُ هُمُ

الجذور النبيلة حين تثور، سيصدر عنهم بلاغٌ وراء بلاغْ.!!!

هكذا

أصبحوا

حانةَ الأجنبيّ،

يضاجعهمْ في الدماغْ.!!!

من مُجيري إذا طاردوني ، وكانت شعاراتهمْ واحدة؟!!!

نحنُ صوتُ التراب الممّرغ بالدم والحزن حتي النُخاعْ

نحنُ وهجُ القبائلِ، نحن البحار التَصبُّ إلى بركةٍ راكدهْ

نحن من يقرأون الكتاب لهذي الشوارع والمدن الجاحدهْ

نحن جوع الجياعْ

نحن هذا الزمان اليُطلُّ عليكمْ، ونحنُ سراج القبائلِ،

نحن الشُعاعْ.

-١٠-

فلتَنمْ، أيها الطفل، إنَّ سماء الخليل سَماكْ

فلتنمْ، الطيور صباحاً تعودْ

بلّل اللهُ قبركَ، إنَّ الندى في المساء كثيفٌ،

دخانُ الطوابين أشهى،

وراعيةُ الماعز الأسمر المتراكض– حتماً تراكْ.!!

كان طفلاً بريئاً، يحبُّ الزراعة في التربة البكر، يكره ريح السَمومْ

كان سيفاً وبستانَ لوزٍ وصوتَ غَضَبْ.

كان باجسُ في زمن القحط، سدّاً بوجه السوافي

كان طفلاً،

يُقلّمُ عُنْقَ العدوّ، ليزرعَ في السفح حاكورةً من عنبْ.

نحن نعشق هذا القمرْ

نحن نشتاقهُ الفجرَ والظهر والعصر والليلَ...،

مَنْ لم يحبَّ جبال الخليلِ، كَفَرْ.

١٩٧٤، بيروت

١٢- بالأخضر كفنّاه

بالأخضر كفنّاه

بالأحمر كفنّاه

بالأبيض كفنّاه

بالأسود كفنّاه

بالمثُلث والمستطيل

بأسانا الطويل.

نزف المطر على شجر الأرز لذكراه

وعلى الأكتاف حملناه

بكت المزن البيضاء لمرآه

دمه ينزف والبدوية تنتظر الأيام

دمه ينزف، زغرد سربُ حمامْ

والبدوية تنتظر حبيباً

سيزور الشام.

بالأخضر كفنّاه

بالأبيض كفنّاه

بالأسود كفنّاه

كان خليلياً من صيدون

حِمْصياً من حبرون

بصرياً من عمّان.

وصعيدياً من بغداد

كان جليلياً من حوران

كان رباطياً من وهران.

مطرٌ في العينين وتحت القلب دفنّاه

عشبٌ في الرمل وفوق القلب رخامْ.

بالأخضر كفنّاه

*** غناها اللبناني مارسيل خليفة عام ١٩٨٤ لأول مرّة في ستاد الصفا أمام مائة ألف مستمع، في بيروت.**

بالأحمر كفنّاه

والبدوية تنتظر حبيباً سيزور الشام

كيف رحلت ولم تقرأ موتك

في المدن الفضية:

شعراءَ الورد الميتافيزيقي انتحروا

شعراءَ العشب انتشروا في الأرض.

بالأخضر كفنّاه

بالأحمر كفنّاه

بالأبيض كفنّاه

بالأسود كفنّاه

البدويةُ زارتني تحمل منشوراتٍ سرَّية:

قالوا لي: اخرس فخرستْ

قالوا لي : انطق فنطقتْ

قالوا لي: ثالثةً لم أسمعْ

إني أتبع أحبابي حيث يكونون.

لا الريحُ تحاسبنا، لا الرملُ الأصفرْ

لا الموج ينادينا

إن خفق النوم بأعيننا

والورد احْمَرّْ.

يا دمه النازف لا تصفر

يا دمه...

يا دمه...

لا الريح تحاسبنا إن أخطأنا

لا الساقيةُ الناعبةُ ولا النهرْ.

بالأخضر كفنّاه

بالأحمر كفنّاه

يتركنا ويودعنا ويقبّلنا بين العينين.

يا أمي تأخذني عيناكِ إلى أين؟؟

بين النار وبين النار يموت

بين الهمسة والحرف يموت

أثناء صياح الديك يموت

بعد طلوع الفجر يموت...

لا تسأل: هذي بيروت.

بالأخضر كفنّاه

– لن يفهمني أحد غير الزيتون:

شجر كضفائر أمي يحميني

من مطر الأيام الصعبة

أخضرُ أخضرُ

مثل مياه خليج العقبة

وجذوري تنغل في الحمأ المسنون.

كان شجاعاً صلباً كالزيتون

بالأخضر كفنّاه

بالأحمر كفنّاه

بالأبيض كفنّاه

بالأسود كفنّاه

بالمثّلث والمستطيل

بأسانا الطويل.

١٩٧٦، بيروت

١٣- امرؤ القيس يصل فجأة إلى قانا الجليل

أفتتح كلامي وأقول: الآن، الآن، الآن.

الآن كلامي يصبح كالخنجر كالطعنة كالسكينْ

الآن ابتدأت كلماتي تتحول نحو البحر

وتلتقط حصاةً من شاطئهِ الحجريِّ وترميها

في وجه المرتدّينْ.

فاعلم أنك منذ كذبت، تعض النابَ

وتبكي الكثبان.

واعلم أن الصدف الأحمر والصدف الأخضرَ

في الشطآن

لم يذرف دمعة حزنٍ من أجل ضحاياك

المرمية في "صيدونْ"

واعلم أن الزيتون

يكرهك، كذلك تكرهك شجيرات النبع

وأوراق الزعتر والليمون

وستأتيك الأيامُ، ستأتيك الأيامُ

ستأتيك الأيام.

أفتتح الآن كلامي وأقول:

. ليس وهْجك غير اصطباري

صرختُ... ولم يستجب لي أحدْ.

ليس وهجك غير توهّج

هذي المسافاتِ

حين صرختُ...ولم يستجب لي أحد.

كان عرسٌ بقانا – الجليل

ارتعاش النساء اللواتي التحفن السواد.

ليس وهجك غير صهيل خيول العدا

في البلادْ،

كان عرس بقانا، وكان يُحنيّن كفّي

صرختُ... ولم يستجبْ لي أحدْ

كان عرسٌ بقانا الجليلْ

توسلّت منك النصيحةَ

لما تمددت بين الجماهير واللغة الغامضة

أكلوا شجري قبل هذا النهار

ولم يشبعوا من لغات الصباح

ليس بيني وبين سفائن صيدا خلافٌ

فنحن جميعاً جراح الجراح.

إنَّهمْ جعلوا البحر مستودعاً للسلاح

يريدون أن يلحقوا خمر قانا

بتلك الضفاف.

ليس بيني وبين سفائن صيدا خلاف.

في وريدهم جربٌ وشراينهمْ

دبّ فيها الجفاف.

إنما غضبوا حين صارت لنا خضرةٌ وضفاف.

نزرع الرمل كي نتظلّل بالماء والخبز واللغة المقبلة.

نزرع الرمل كي لا تصير لنا الثورة – المقصلة.

فليكن جرحنا كالخوازيق للسادة المقبلين.

على فرس من رماد البلاغات والخطب الآسنة.

وليكن واضحاً إنهم أجبروك على الطاولة

أن تقول الذي لا تريد.

لا تكن ليّناً كالثريد

وليكن واضحاً أن قلبك ينزف دمعاً

وأنت تمجّد عرش يزيد.

لا تكن ميتاً،جامداً، هامداً، قابلاً كالقديد

لا تكن خائفاً ثم غازل حجارتها المرمريةَ

أسوار مريام، أبوابها السرمدية والشجرات.

إنّهمْ قتلوا والدي وأنا شاردٌ في حنايا اللغات.

سوف أفتح باب التطوّعِ للنهر والبحر والسهل

والزيزفون.

الصنوبر والسرو والكرم، أفتح باب التطوّع

للنار، حتي يعود على فَرَسٍ من حريرْ.

كان عرس بقانا الجليل وفاطمةُ الآن تكتب لي

من رماد الرمال: لقد فاضوا اليوم باسمي

وحُجْرُ المسجّي على الرمل لم يدفنوه.

كان عرس بقانا الجليل وفاطمة الآن

تفتح باب التطوّعِ:

حنّاؤها وخلاخيلها والعطور.

وتُقسم أن لا تكون نؤوم الضحى

إنها تقسم الآنَ، يفرح الشجر السمهريُّ

وفاطمة الآن قصَّتْ جدائلها

أقسمت أن تكون

نجمةً للصحاري وبوصلةَ التائهينْ

يا رياح الجنوب استمري:

متى سوف تنطلقُ العاصفة!!!!

أختتم الآن كلامي وأقول:

– لستُ ممن ينادونكَ الآن من خلف هذا الفراغْ

هُزّها بيسارك لن تلق غير الخداع

إنهم ختلوك يريدون عظمك حتى النخاع:

مرةً يقع المتخمون من الكأس أو من

بعوضة ماءٍ كريهٍ وقد يقع الطيبون

إذا هز قُدَّامهمْ ماهرٌ بالعصا

يحسبون العصا جبلاً ممعناً في الأسى

ينامون حين يرون الجليل استفاقَ

وحين يرون الجليل استفاقَ

تكون جبال الخليل مُدى وحصي

والنهور التي صوتها عذّب الغائبين

أسى في الأسى.

هُزّهم، هُزهم، هُزهم.

قانا، (لبنان) ١٩٧٦

١٤- جفرا

أرسلتْ لي داليةً.. وحجارةً كريمة

مَنْ لم يعرفْ جفرا... فَلْيدفِنْ رأْسَهْ

من لم يعشق جفرا... فليشنق نَفْسَهْ

فليشرب كأس السُمِّ الهاري، يذوي، يهوي... ويموتْ

جفرا جاءت لزيارة بيروتْ

هل قتلوا جفرا عند الحاجز، هل صلبوها في تابوت؟؟!!

جفرا أخبرني البلبلُ لما نَقَّر حبَّاتِ الرمَّانْ

لمّا وَتْوتَ في أذني القمرُ الحاني في تشرينْ

هاجتْ تحت الماء طيورُ المرجانْ

شجرٌ قمريٌّ ذهبيٌّ يتدلى في عاصفة الألوانْ

جفرا عنبُ قلادتها ياقوتْ

هل قتلوا جفرا– قرب الحاجز، هل صلبوها في التابوت؟؟

تتصاعدُ أُغنيتي عَبْر سُهوب زرقاءْ

تتشابه أيام المنفى، كدتُ أقول:

تتشابه غابات الذبح هنا وهناك.

تتصاعد أغنيتي خضراء وحمراءْ:

الأخضرُ يولد من دمع الشهداء على الأحياءْ

الواحةُ تولد من نزف الجرحى

الفجرُ من الصبح إذا شَهَقَتْ حبّاتُ ندى الصبح المبحوحْ

ترسلني جفرا للموت، ومن أجلك يا جفرا

تتصاعدُ أغنيتي الكُحليُّة.

منديلُكِ في جيبي تذكارْ

لم أرفع صاريةً إلاّ قلتُ: فِدى جفرا

ترتفع القاماتُ من الأضرحة وكدتُ أقولْ:

*** غنّي أحد مقاطعها اللبناني مارسيل خليفة عام ١٩٧٦ في أول اسطوانة صدرت له في باريس مع قصائد لمحمود درويش بعنوان (وعود من العاصفة) وكان أول من غنّي– جفرا – المغني اللبناني خالد الهبر في عام ١٩٧٥.**

زَمَنٌ مُرٌّ، جفرا... كلُّ مناديلكِ قبل الموت تجيءْ

في بيروت، الموتُ صلاةٌ دائمةٌ والقتل جريدتُهُمْ

قهوتُهمْ. والقتل شرابُ لياليهمْ

القتلُ إذا جفَّ الكأسُ مُغنّيهمْ

وإذا ذبحوا... سَمَّوا باسمك يا بيروت.

سأعوذُ بعُمّال التبغ الجبليّ المنظومْ

هل كانت بيروتُ عروساً، هل كانت عادلةً... ليست بيروتْ

إنْ هي إلاّ وجع التبغ المنظومْ

حبَّاتُ قلادته انفرطَتْ في يوم مشؤومْ

إنْ هي إلاّ جسد إبراهيمْ

إنْ هي إلَّا أبناؤك يا جفرا يتعاطون حنيناً مسحوقاً في فجرٍ ملغومْ

إنْ هي إلَّا أسوارك مريامْ

إن هي إلَّا عنبُ الشامْ

ما كانت بيروت وليستْ، لكنْ تتوافد فيها الأضدادْ

خلفكِ رومٌ وأمامكِ رومْ!!!

للأشجار العاشقة أُغنّي.

للأرصفة الصلبة، للحبّ أغنّي.

للسّيدة الحاملة الأسرار رموزاً في سلّة تينْ

تركض عبر الجسر الممنوع علينا، تحمل أشواق المنفيينْ سأغني.

لرفاقٍ لي في السجن الكحليّ، أغني

لرفاق لي في القبر، أغني

لامرأةٍ بقناعٍ في باب الأسباط، أغني

للولد الأندلسيّ المقتول على النبع الريفيّ، أغنّي.

لعصافير الثلج تُزقزق في عَتبات الدورْ

للبنت المجدولة كالحورْ

لشرائطها البيضاءْ

للفتنة في عاصفة الرقص الوحشيْ

سأغنّي.

هل قتلوا جفرا؟؟

الليلة جئنا لننام هنا سيّدتي... يا أُمَّ الأنهارْ

يا خالة هذا المرج الفضيْ

يا جدَّة قنديل الزيتونْ

هل قتلوا جفرا؟؟

الليلة جئناكِ نغنّي.

للشعر المكتوب على أرصفة الشهداء المغمورين، نُغنّي

للعمّال المطرودين، نغّني

ولجفرا... سنُغنّي.

جفرا.... لم تنزل وادي البادانِ، ولم تركضْ في وادي شُعَيبْ

وضفائرُ جفرا، قصّوها قرب الحاجز، كانت حين تزور الماءْ

يعشقها الماءُ... وتهتزّ زهور النرجس حول الأثداءْ

جفرا، الوطن المسَبِيْ

الزهرةُ والطلْقةُ والعاصفة الحمراءْ

جفرا – إنْ لم يعرفْ من لم يعرفْ غابة تُفَّاحٍ

ورفيفُ حمامٍ... وقصائدُ للفقراءْ

جفرا – من لم يعشق جفرا

فليدفنْ هذا الرأس الأخضر في الرَمْضاءْ

أرخيتُ سهامي، قلتُ: يموتُ القاتل بالقهر المكبوتْ

١٥- حيزية

عاشقة من رذاذ الغابات

أحْسِدُ الواحةَ الدموَّيةَ هذا المساءْ

أحسدُ الأصدقاءْ

أحسدُ المتفرّجَ والطاولاتِ العتِاق الإماءْ

الأكفَّ التي صفَّقتْ راعفة

القواريرَ أحسدُها

والخلاخيلَ ذاهبةً آيبةْ

أحسدُ العاصفة

في حنايا الفضاءْ

أحسدُ الخمر منسابةً وعراجينها في ارتخاءْ

وابنَ قيطونَ أحسدُهُ عاشقاً

طاف في زرعها

و "سَطيف" : حقول الشعير، الأعالي،

ينابيعها

أحسد الخَشَب الصَدَفيَّ الذي لامَسَتْهُ أصابعُها

"سيّدي خالدا": عَرَباً وخياماً ونخلاً، هوى

أحسد الأشقياءْ

أحسد الجلبين ... ظعائنُها شقّت القنطرة

أحسدُ الشعراءَ الرواة الذينَ رأوها

على هودج الكهرباءْ

أحسد التمر في "بِسْكِرَةْ"

الجفافَ الذي جفَّ حزناً عليها

مضى ساكناً في الغديرْ

أحسدُ الملح يقصفُ أعلى البروجْ

أحسد القيظ والزمهريرْ

أحسدُ الخيلَ: أعرافَها وحوافرها والسروجْ

أحسدُ القهوةَ البَرْبَريَّةَ، تسكُبها في دمي

طفلةٌ ذاتُ رِدْفٍ غنوجْ

أحسد الغابة المُمطرة

الضفائرَ أحسدُها ومروجَ السنابلِ

وابنَ السبيلْ

رآها مع الفجر ترعى الندى في الحقولْ

الغرانيقَ أحسدها والبطاريقَ ثم الحمامْ

الوصيفاتِ أحسدهُنَّ إذا

ما رَمَيْنَ عليها السلامْ

أحسدُ النجم حين غفى هائماً

فوق مِعْصَمِها ثمَّ نامْ

أحسدُ الكوكبين الذيْنِ أماطا اللِثامْ

أحسدُ الليل فوق زُنود الرخامْ

أحسدُ الزنبقَ الوثنيَّ وسربَ القَطا

ثمَّ سربَ العصافير، جيشَ اليمامْ

أحسدُ امرأةً من شعاعْ

أحسد امرأةً من نبيذ الرَعاعْ

أحسد القِدْرَ والنار والزنجبيلْ

– رغم أنّي نسيتُ الضلوعْ

على مفرقِ الدربِ في جبلٍ في الخليلْ–

أحسدُ العنب البربريَّ المُعَتَّقَ

صار على شفتيها غمامْ

أحسدُ المقعد الحجريّ وأهدابها الشارداتِ

ندى في التِلاعْ

أحسدُ الفحم من حَطَبٍ وشِواء الغزالْ

أحسد النول والناسجاتْ

والجبينَ الذي يتعالى عليه الهلالْ

والمُغيراتِ صُبْحاً وعصراً على تلّةٍ في الفَلاة

أحسدُ الدمعة النافرة

آهِ يا امرأةً من رذاذ السماءْ

آهِ يا شجرَ الغابةِ الماطرة

أحسد الرمل والدود في المقبرة

أحسدُ الشمع في كفّها ثم حِنّاءَها في اليدينْ

أحسد الخُرجَ يعلو صهيل الفَرَسْ

أحسد التوتَ في الصدرِ والفجرَ في الثغرِ

والموجَ في القِمَّتْينْ

أحسدُ الجذع: زيتونةٌ مرجحتْ ساعدينْ

أحسدُ النبع مركزَ عشبِ القبيلة خلف الأُفقْ

أحسدُ الصُرَّةَ الحلزونَ وخلخالها الدمويَّ

وما بينَ بينْ

أحسدُ الوِرْكَ من عنبٍ ... وله مفترقْ

أحسدُ الخَدَّ في صَحْنهِ

عُلّقتْ غمزةٌ من لُجَيْنْ

أحسدُ السِدْرَةَ المنتُهى ... والألقْ

غابةَ الصابرينَ الصَدودْ

أحسد الرقْمتَينْ

وأساها الذي فاق كلَّ الحدودْ.

واحةٌ للمطرْ

عَرَّجَتْ صَوْبها الفارسةْ

حيثُ كان دمٌ ينتظرْ

أحمرُ الشفتينِ بلون القمر

عندما كان يلعب في القفر بين الرعاة

كان يرقب غَدْر الرمال النقيّة هذا القمر

كان يرسم تشكيلةً من خطوطٍ على الرملِ

دون أثَرْ الأفاعي

وقيل: نِثارُ فتات القبيلة في المنحدرْ

تسلل عاشقُها كالرذاذ الربيعيِّ بين المروجْ

رأى كوْمةً من عقيق قلادتها ورأى

خطًا في عيون السوادْ

– يا ملفّعةَ الفجر إنّ الهوى البدويَّ

هوى الأرجوانْ –

كان مُتَّفَقاً أن تبادِرَهُ بنشيدْ

فلم تستطعْ واعتراها الذهولْ

ورأى الظلّ في الماء مثل العَذولْ

يَتَباطَأُ نرجسةً دامية

تَتناثر في الماء رائحةُ الشكِ والحسرة الآتية

– فأطلق طلقته الواحدة

في جبين الندى وغزال الحقولْ

– غير أنَّ حديث الرواة يطولْ

لو رأيتمْ مع الفجر غامضةً تنتظرْ

ما الذي يجعل الفارس المنتظر

لا يقاتل عن موعد قرب ذاك الحَجرْ

أذكروا رهبة القتل بين النخيلْ

انظروا أرجوان القتيلةِ لمّا يكنْ

مثل أيِّ قتيلْ

العراجين خافتْ وثارت مدامعها قرب ماء السماءْ

سمعَ النبعُ فجراً مع العُشب قبل خروج الرعاة

من مغائرهمْ في السهولْ

صرخةً واحدة

لعاشقةٍ مُرّغتْ بالدماءْ

هدأتْ غضبةُ الريح في موقد النارِ

وانظفأتْ دفعةً واحدة

إنني واثقٌ أنَّ حنّاءها في الربيعِ

ولمْ يلتفحْ بجهنّم بارودةٍ من حديدْ

إنني واثقٌ أنّهُ لملم الوحشة الواجفة

بعد عشرين عاماً، بكى من جديدْ:

– موجز ورهيفٌ أسايْ

جمرةُ البدو أنتِ فمن أين جئتِ

تلوبين مختالةً في قميصْ

موجزٌ ورهيفٌ أسايْ

حفلةٌ في تِلمسانَ أنتِ

مُوشّحةٌ بأغاني مساء الخميسْ

مُوجَزٌ ورهيفٌ أسايْ

قطعةٌ من سماءْ

أرجوانيةٌ عَلقتْ ليلة المجزرةْ

بجناحٍ على الثلج في (جَرْجَرَةْ)

موجزٌ ورهيفٌ أسايْ

نقطةٌ من بياض مسايْ

نخلةٌ في أعالي الجبال تطلُّ على العاصمةْ

أو كأنّكِ جئتِ إلى غابةٍ

بين "جيجلَ" و "القُلِّ"،

عند مسيل المياهْ

ربّما غيمةٌ من رذاذ السَهر

تتسلقُ كرماً، فهل غاب عنك الدليلْ

قبل ذاك الوصول إلى البحر أو بعده بقليلْ

أو كأنّكِ جئتِ من البحر دون مُواربةٍ

من صخور الجُزُرْ

لَفَظتْكِ الرياحُ، ركضتِ إلى الغارِ

كانت ضفائركِ السودُ ملْساءَ مثل ليالي السَمَرْ

وأنا غارقٌ في دم الأرجوانْ

قالت النرجسه:

أيُشْبِهُني أحدٌ في صفاء الدموعْ

أيُشْبِهُني أحدٌ في الكتابةِ أو في الحنينْ

أيُشْبِهُني أحدٌ في الندى مثل رمّانةٍ طازجةْ

في دماء الوريدْ

أيُشْبِهُني شعراءُ التماثيلِ

أشعارهُمْ من قديدْ

وابنُ قيطونَ غازَلها من بعيدْ

ظلَّ في السرّ يُهدي إليها الورودْ

وبعضَ الرسائلِ تُترك مجهولةً في الصقيع

على باب خيمتها عبرْ ساعي البريدْ

وتُهملُ ملفوفةً بَوَتَدْ

إنني واثقٌ أنها لا تفكُّ الخطوطْ

ربّما قيل إني أغارُ وفي القلب منّي حَسَدْ

أيُشْبِهُني أحدٌ: كنتُ غازلتُها في الطريقْ

ونَدَهتُ عموم البَلدْ

إلي ساحةٍ وشَلَفْتُ مناديلَها

وهُمُ ينظرونْ

النقوشُ التي حُفرِتْ في (الطَسَيلي) رأتني

رأتني جموعُ الرعاة

أمَصْمِصُها قطعةً قطعةً ورأتني الشياهْ

وطار الحمام على ساعديها ارتمى

زرقةً واخضراراً وما قال: آه

– زاجلاً كان هذا الحمامْ وهواي الذي في الضلوع هواه

إذَنْ يا ابنَ قَيْطون هات قصيدتك النائمةْ

تعال إلى منبرٍ قبل بدء الصلاة

ليحكم بيني وبينكَ جمعٌ من الشعراء الكرامْ

ورهْطُ رواة وإن لم تثق فالقُضاة

القتيلةُ زيتونةٌ

أم رماحُ المقابر قد غُرستْ في السؤالْ

القتيلةُ رملٌ على البحر

أم ذهبُ الأضرحة

ليس نسمع غير صدى النائحةْ

أو كأني رأيتكِ من قبل يا رغبةً جامحةْ

ربّما في سفوح الجبالْ

وأنا واثق أنَّ هذا الرذاذ له صلةٌ بالرمالْ

غير أنّ الدليل الذي كان بين يديّ اختفى

مثل برقٍ وظلِّ السؤال

– فَلْنَقُلْ: عاشقةْ

في ليالي الصَبيبْ

ولنقلْ: عندليبْ ولنقل حين أغوَتْ .. غَوَتْ في اللهيبْ

ولنقلْ : ساحرة

ولنقل سُحرتْ خلف أحجار وادي الرمالْ

ولنقل – فَرْضاً – إنها امرأةٌ حاذقة

ولنقل : – صُدفةً – زُحلقتْ رِجْلهُ في الغرامْ

ولنقل إنّها نجمةٌ في السما واضحة

– إنني عاشقٌ جرَّب الذبح والمذبحةْ

– ولنقل – مُهرةٌ جامحة

سئمتْ بَرْد فرشتها

وتسلّل ينبوعها دافئاً في الظلامْ

ولنقل – وردةٌ عطشتْ

فرواها النخيلُ ... وخافْ

ولنقُلْ – إنّها تُربةٌ شققتها ليالي الجفافْ

ولنقل – غجرٌ لملموا نارهَمْ

حول تلك الضفافْ

ونَسَوا جمرةً عُلّقَتْ في ذوائبها البائنة

ولنقل – مثلاً – إنّها امرأةٌ خائنة

طارحَتْني الغرامْ

عندما كان عاشقها في الصلاةْ

وابنُ قيطونَ كان يُدبّجُ بعض رسائلهِ في الخفاءْ

ما الذي يزعجُ الشعراءْ

ما الذي يزعجُ بعضَ الرواةْ

إذا كانت امرأةً خائنة.

قد يضيعُ كلامُ الرواةِ سُدي

بعد تدجينهِ في المقرر في الجامعات

أو إعادة إنتاجهِ باختصارْ

في اللِجان التي نقّحتْ كُتُبَ المدرسة

ربّما لم تكنْ من دمٍ ، إنّما نرجسةْ

سافْرتْ حول مِرْآتِها

وأراهِنُ ما عشقتْ أحداً

إنّما عشقتْ ذاتَها

قرب واحاتِ (أولاد جلاّلَ) في الفَلَواتْ

فليكُن

فَليَكُنْ

إنني أحسد الغابة الماطرة

أحسدُ النسر في جَرْجَرَة

أحسد التمر في بسكِرَةْ

أحسد الرمل والدود والعُشبَ في المقبرة.

قسنطينة، الجزائر، ١٩٨٦

١٦- يتوهج كنعان

– جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيمِ

حيثُ يقيمون أندلساً في الكلامْ.

– أحاولُ أن أمسكَ البحر من خَصْرِهِ القرمزيِّ

أراهُ كذلكَ

لكنّهُ يشتهي أن يكون ربيعاً،

لكي يُعجبَ الآخرينْ

بطيءٌ بريدُكَ يا وطني والرسائلُ لا تصلُ العاشقينْ.

وكانت تحومُ النوارسُ

تملؤني غبطةً والنجومْ

مسافرةٌ قرب شمس الأصيلْ

أحاولُ يا فَرَساً حجريّاً على التلّة القرمزيةِ

كالبحر، مريمُ إفريقيا في الفضاءِ،

تُمدُّ ذراعاً لوهرانَ، ثمَّ

وراءك يختبئون لكي لا يَرَوْكِ قُبَيْلَ الرحيلْ

ومريمُ إفريقيا لم تطابقْ بهاءَ الأصول.

كذلك قيل: انظروا الماء،

قيل كذلك: نِدٌّ لروما، أما زلت يا مُهرْةً

تركضين، يُتابعُ جرْيَكِ هذا المدارْ.

أحاولُ.

كان المدى شجراً

وشجيرات عَوْسَجِ هذا المدى عِشْرقُ البحرِ

جَهِّزْ جوادكَ للرعي في مرج ذاكرة الغيمِ

حيث يقيمون أندلساً في الكلام.

ألنوارسُ تزعقُ مثل رضيعٍ

سَيُعلنُ رغبته في حليب الصباح.

تُقاسِمُنا زاد رحلتنا بالصراخِ ولم تستطعْ

ألدخانُ يقيمُ جبالاً من الحلمِ يرحل غرباً

فيطرده البحرُ،

عطرُ الطوابين بين شقوق السؤال.

أحاول أن أرسم البحر لكَّنُه

كنساء الينابيع يبدو صديقاً

ويهربُ من بين كَفَيَّ مثل حقول القطارْ.

وأركضُ: أنظرْ حِجاجاً من الصخرِ

يأوي الحمام إليهِ

من البحر والتينة المقدسيَّة:

بلّور سيقانها يصل المتوسّطَ،

أما الشُروش فأعصابُ جدّي

ويهربُ منّي الكلامْ

إذا ما اصطدمتُ بتينةِ قلبي

عليها السلامْ.

هنالكَ أيضا ستبقى الحجارةُ شاهدةً

أنّها أصبحتْ مطعماً للبلاغةِ:

مقهى على الأبيض المتوسّطِ دون نساءٍ

ودون سماءٍ ودون ارتجافٍ ودون نراجيلَ أوْ زَنْجَبيلْ.

– سنخترعُ البحر ثمَّ نَرُشُّ البهار عليهِ

ونجلبُ من جبل الشام أقمار غوطتها،

ومن القدسِ صخرتها،

من ضلوعك بيروت رَوْشتك القرمزيَّةِ

ثمَّ نشوي على الفحم

فوق التلال المحيطةِ

قَلْبَكَ يا بحرُ

أحجاركَ المرمريّة، ننشُرها فوق حبل النهارْ.

– وداعاً نقول لعكَّا ويضطربُ القلبُ

في قلعة البحرِ

دون نقوشٍ ولا دولةٍ والنوارسُ فوق الفَنارْ

ألفنارُ الذي صار مأوى قراصنة البَرِّ

في غُرَفٍ، شَلَّ هذا الهواء

تباريحَها وأساها ولم يبق غير السجونْ

بطيءٌ

بريدُكَ يا وطني والرسائلُ لا تصل العاشقينْ.

جَهِّزْ جوادَك للرَعي في مرج ذاكرة الغيمِ

حيثُ يقيمون أندلساً في الكلامْ.

– أحاولُ: راهنتُ أربعةً: كان وجه أبي

في مقالع مرمر قَرْيتنا، تَعِباً

حين غنّى مواويلَ ذاك المغنّي العراقيِّ

قيل اسمُهُ "بوعزيزْ"

وقال لنا أحد الأصدقاءْ:

إذا لم يكُنْ بادئاً، اسمهُ هكذا

رسم الحاء فوق الترابْ

سأجْدَعُ أنفي وأرمي به للنوارسِ

أقسم آخَرُ أنْ لا وجود لهذا المغني

وحين استشرنا مناديلَ عرَّافةِ البحرِ

جادَلْتُها وربحتُ الرهانْ

وحتى أُغيظَ الأحبّة، صحتُ بأعلى حنيني

حنانيك يا حارةً في الخليلْ.

(يَقينٌ) على تلّةٍ، سرقوا قلبَهُ،

جبلٌ قرب قريتنا ويطلُّ على البحر

والبحرُ مَيْتٌ يفاصل زلزاله الأبديَّ

وأحجارُه مَرْمرٌ واسألوا البرلمان البعيدْ.

اسألوا الشاحناتِ التي حَمَلَتْهُ، اسألوا

عنه تلك القصور التي سَرَقَتْ من مقالعِهِ

واسألوا عنه أحفاد جالوت

يرتفعون به في هواء الشوارع

يسقط كالطير فوق رؤوس الجنودْ

أُرشقوهمْ، يخافون،

هذا صباح الصهيل وهذا مساء السَهَرْ.

أحاولُ أن أوقظ البحر من موته السرمديّ

أقول له في المساءِ:

دم البحر أزهر وردَ الشقائقِ من نجمة الحقلِ،

كنعانُ يخرجُ فجراً

كنرجسة في حَجَرْ.

أحاولُ: دارٌ وحاكورةٌ وسماءْ

وسمعتُ الجنود يقولونَ:

أينَ الذي قُدَّ من جَبَلٍ

واستعذتُ بزيتونةٍ وركضتُ وكانوا

ورائي،

خنازيرُ برَّيةٌ

ثمَّ، ها أنت تولد مثل النَبَأْ.

وكنعانُ نخلٌ وحورٌ وسَنْطٌ إذنْ

سوف نلمحُ بحراً يهاجمُ رملاً

ونلمح موجاً يذيبُ ملوحة هذا الخَطَأ.

أحاولُ أنْ أتتبعَ مَوَّالَ أجدادنا الطيبينْ

وكم حاول البحر تسجيل جرأته فوق رمل الكَلأ.

أحاول أن أمسح الحزن عن وجنةٍ

قد علاها الصَدَأْ.

تَوقَّفَ حزنُ المواويل والرقصِ

ظلَّ يغنّي على ساحة الليلِ

منذ ثلاثين، كان فتى وَيُغني على مَهَلٍ في الشعابْ

وعاد إلينا سليلُ الجراحِ كسيرَ الجناحِ

يغازل ورد الصباح ويغرف من ماء هذي البطاح

ويغرس أشعاره في السهول البَراح ويشعلُ رمّانة

في المتاح من الوقتِ، قال المغني: تكسّر وهْجُ سلاحي

قفزتُ عن الحائط المستقيمِ

فَفَرَّ الجنود وصاحوا

ولكنَّهمْ قد أرادوا سماع صياحي.

أفقتُ من النوم حيث وجدتُ المسافة صارتْ

دمَاً وفراقاً، أفِقْ وأفقتُ وهيأتُ روحي

لهوج الرمال وعَسْفِ الرياحِ

وأغرقتُ أشجار زينتنا بالرذاذ الذي في حواشي المتونْ.

أحاول– هل أستطيع مُساكنة الحُلمِ في الدارِ،

ثمّ رأيتُ القرنفل في عوسج الدارِ،

منذ ثلاثين عاماً يحاصرني الحلمُ دارٌ وحاكورةٌ،

وضجيجٌ، عَتابا تُعاتبني الدارُ،

والميجنا سأصيح: أيا من جنَى

ثمَّ ظريفٌ تَمُرُّ بقامتها السرمدية،

حيثُ ضفائرها كانسكاب الشعاعِ على الماءِ

عاصفةٌ في الصباحِ، صباح كروم اليقينْ

بطيءٌ بَريدُك يا وطني والرسائلُ لا تصل العاشقينْ.

– جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم

حيثُ يُقيمونَ أندلساً في الكلامْ.

– سلامٌ، سليمُ، سلامٌ، سليمْ

أرقُّ من القمح قبل هبوب رياح السَمومْ

أرقُّ من المجلس البلديِّ

إذا كان مُنْتَخبا من عموم البَلدْ

أرقُّ من الورد والحور بعد سكون النسيمْ

أرقُّ من النسوة الحاملات جرار الغيومْ

أرقُّ من النوم تحت امتداداتكَ الهمجيَّةِ

يا بحر منذ قديم الزمانْ

أرقُّ من النبع في الصيف عند الهجيرْ

أرقُّ من الكرز البربريِّ،

سوالفِ مريم في تِلْمِسانْ

سلامٌ سليمٌ سلامٌ سليمْ

لكِ الموج والصَدَف الساحليُّ

على صخرة الكهرمانْ

أقول لها: شَعلقيني قليلاً

سأمسكُ بالموج: مَرْجانُهُ سوف يخضرُّ

مثل بنات المدارس في المهرجانْ

وكنتُ أُطاردُ غزلان سفحٍ

يطلْ على البحر في غَسَق البحر بعد الحقولْ

وبحركَ يا ملح،

ملحكَ يا بحر نبضٌ يقولْ:

زرعتُ عظامي وقلبي بقاع صنوبرةٍ

في الخليلْ

سلامٌ سليمٌ سلامٌ سليمْ

سليمٌ سلامٌ سليمٌ سلامْ

سلاماً إلى الراء كانت مَطَرْ

سلاماً إلى الفعل قبل الكلامْ.

في سياج القُرنفل باض الحمامْ.

وكنعانُ في جبلٍ سّيدٍ سيطلُّ قريبا على العالمينَ،

ويكثر عَنْهُ الكلامْ.

سليمٌ سلامٌ سليمٌ سلامٌ

سلاماً إلى طفلةٍ وردةٍ من عنبْ

وطفلٍ من الشبق المدرسيّ من النارِ

في غابةٍ للحَبَبْ

وكان على الطفل أن يَتَمطّى على حيط حاكورةٍ

في الصباح المبكّرِ

قبل الندى في جبال الحنينْ

كنرجسة الماء ثوبُ العروسِ

سلاماً إلى موعد الباصِ

ثمّ سلاماً إلى مَقْعدٍ من خَشَبْ.

كان ذلك قبل ثلاثين في ليلة البرتقالِ

تضاهي الفراشاتِ

كانتْ جدائلها تتشعلقُ في جذع زعرورةٍ

ثمَّ إنّي سمعتُ صُراخاً

خليطاً من القهقهات وهمس اليمامْ

وَرَفّة تَنَّورةٍ مزَّعَتْها الرياحُ

وتَرْغَلَتِ النجمةُ الجبليةُ قالت:

أمامك نهرٌ وخلفك بحرٌ ومجزرةٌ

وعَدَوْتُ وراء نجوم الجبال وأوقعتُها

في تجاويفِ جُرفٍ وعاد الصهيلْ

يؤجّجُ رغبته وتساقط غيمٌ علينا

احتضنتُ الرذاذ وغطيتهُ ببكاءٍ جريحْ

أحاول في ليلة البرتقالِ

اعتصرتُ شربتُ ارتويتُ

كما احمرَّ خدَّانِ في الجُرفِ

نمنا على القشِ

أيقَظَنا مطر الصيفِ

جَرْجرتُ روحي

وفرَّتْ يمامةُ ليل الكرومِ

ادّعت أنّها جَرّحتْ خدّها ليلةَ البرتقالِ

وأنَّ السحالي على تلّةٍ فَدَغَتْ نهدها

الجبلي، بقيتُ أراشقها بالحجارةِ ثمَّ تراشقني

فأراشقها وهي ترشقني دفقةَ موجزةْ

وكانت سماءٌ تراقبنا في السماءِ

وبعضُ الطيور ومشمشةٌ تكتب الحادثةْ.

وبعد ثلاثين شِفْتُكِ في التَلْفَزَةْ

صرختُ: أعدْ ليلة البرتقالِ

سَتَحْتَشدُ الكائناتُ على الدربِ

في مفرق الغائبينْ

بطيءٌ بريدُك يا وطني والرسائل لا تصل العاشقينْ.

– جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم

حيثُ يُقيمونَ أندلساً في الكلام.

– أُوزّعُ أسئلتي في الصفوفِ

ويَقرصني النحلُ

كل خليّة نحلٍ تُقَيِّمُ لجْنَتها

لا غبارَ على الطرقاتِ

وزيتونة الوعد في مدخل الأسئلةْ.

وأرسي تقاليد للوردِ

أحصي مَساماتِ كنعان ثمَّ أوزّعُ جِسمي

وأشرحُ صدري وأقتاتُ من تعب الليلِ

أفرُكُ عينَيّ بالبَصَل النرجسيِّ

وأفْصِدُ هذا الدم الفاسد اللولبيِّ

وأبني لقطعان هذي الغيوم بيوتاً

زجاجيّةً ثمّ أنُثُر ملحاً على الهيش في الغَوْرِ

زوّادتي من جراحٍ مُعَلّبةٍ

ثمَّ يثأر جالوتُ،

لا صَخْرَ دون رُماةٍ ولا ضوء دون قناديلها المُشْعَلّهْ.

الحداثةُ هذي العظام التي كسَّروها فصارت

قساوتُها مضرْبَ الأمثلهْ.

لا تَقُل كلما أثخنْتُه الجراح انتهى

إنَّ جالوت مِدْماكُ هذي الحداثةِ

في الحَيْط والسلسلة.

وأذكر ديراَ عتيقاً: حجارتُهُ من صلاةٍ

سَنَجْبلُ طين العتاقة بالماءِ

ثمّ نبيذ السقائفِ

يُصبح رُمْحاً ونغرزه في عيونٍ تنامُ

على نجمةٍ قاتلة.

ولا بُدَّ أيضاً من النار

كان العماليقُ يبنون بالطينِ

بالقَصَلِ الجبليَّ قلاعاً من الصمتِ يحمونها

بالعُيونْ

وبالَحذَر الذهبيِّ

وشوق الصدور الدفينْ.

بطيءٌ بريدك يا وطني والرسائل لا تصل العاشقينْ.

جَهِّزّ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم.

حيثُ يقيمون أندلساً قي الكلامْ.

– توهَّج كنعانُ بين القرى:

غوطةٌ في الخليل: الفراشُ على الورِد

والورد فيها فصائل مثل الجيوشْ

أحاولُ أتثلَّج حين أرى نهرها وينابيعها

بارداتٍ كغُربتنا الباردة.

غوطةٌ في الخليل: يمامٌ على غصن ليمونةٍ

وحمام وجوزٌ ولوزٌ وحورٌ وصفصافةٌ فارعهْ.

– حيث تكون الينابيعُ والشعبُ ثمَّ

تكون الحضاراتُ– بيرُ السباعِ ورقْصُ

الفراشات فوق المُلاءات في الحقلِ

هذي قوافِلُهُمْ تجمعُ القشَّ تحت القدورْ.

ولا تسألِ الشَبَرات اللواتي

نُعلقُهنَّ غداً بجدائلِ تلميذةٍ

كصفوفٍ تجيءُ العصافير

أو مثل تشكيلة الحَرَس الوطنيِّ

على ساحةٍ سقطتْ فجأةّ قرب نبعٍ قديمْ

وكانت قوافلنا في القديم تَمُرُّ مُحمّلةَ بالبهارِ

من الهند والأرجوان الطبيعيِّ

عبر سواحل كنعان

ثم النبيذ العتيق من كريت:

أديرةٌ،

أتذكر أنَّ الشرايين فَزَّتْ

وقال المذيعُ تكون الجزيرة في الشرقِ

ثمَّ هُرعنا نزاحم أطفالنا في النوافِذ:

فِعلاً هي كريت أو عسقلانْ.

أري الإيل يقعي على رأس تلٍ وغامتْ سماءْ

رأيت اختلاط الخطوط،

اشتباك السماء مع الأرض

ثمَّ تمنّيت لو تهبط الطائرة.

غوطةٌ في الخليل:

السماءُ على الأرض زرقاء

الورد فيها فصائل مثل النوارس

مثل قبائل كنعانَ

قلعتُها كقلاعِ شكسبير مرعبةٌ

والحصار القديم يشابِهها

جئت أنسى الحصار فجاءَ الحصار الجديدْ.

شعوبٌ تُخَلِّدُ قاتلها في الصباحِ

وإلاّ لماذا– أبو يوسفَ يعقوبَ حاصرها

فأقامتْ له نُصُباً فارعاً يصل الأخضر

العنبيَّ مع الأزرق النبويّ على تلّةٍ عاليةْ.

تَوهّجَ كنعانُ بين القري، والرماةُ على السطحِ

قد جفّفوا الطينَ والماء والقشَّ

طوباً فلا ينكسرْ.

– جَهِّزْ جوادك للرعي في مرج ذاكرة الغيم

حيث يقيمون أندلساً في الكلام.

– تراني بعيداً، أنا حاضر غائبٌ

غائبٌ حاضرٌ،

ثمَّ أقربُ من سرعة ا لبرق حين يحوم الخطَر.

وأقربُ من صيْحةٍ للسهولِ

وأقرب من رفَّةٍ للشجر

وأقربُ من خفقة النرجسة

وأقربُ من شجرٍ التوت في المدرسةْ

وأنتِ تَصبُيّنَ زيتاً على النارِ

أنتِ تسدّين بوّابةَ السرِّ بالعَجَلات القديمةِ

أنتِ الزجاجُ المُورَّدُ

في ليلة كالقَدَرْ

تَوهّجَ كنعانُ بين حقول الشعيْر

تَوهّجَ كنعانُ ورْداً وخوفاً وخبزاً وشاياً

على تلْةٍ قرب برقوقةِ المُنحدرْ

– عليك برشق المدى أنجماً من غرامْ

يَجيئُكِ كنعانُ ملتحياً بالثلوجِ

يطيُر اليمامُ على كتفيهِ

على فَرَسٍ أشهب الرُمْحِ في ليلة الاجتياح

وَسُبْحَتُهُ صَدَفٌ تلحميٌّ... وجُبَّتُه من حريرْ

يجيئُكَ كنعانُ

كشرتُهُ من زجاجٍ وعيناه غاضبتانِ

وسروالُهُ عَتُبُ وابتسامتهُ من قتامْ

– يجيئُك كنعان فابتهجي يا بلاد الندى وقلاع الغمامْ

عليكِ السلامُ، عليكِ السلامُ، عليكِ السلامْ.

جَهِّزْ جوادكَ للرعي في مَرْجِ ذاكرة الغيمِ

حيث يقيمون أندلساً في الكلامْ.

الجزائر – تلمسان–١٩٨٨

١٧- حصار قرطاج

شجرٌ من غرامْ

أنزوي

أتوحَّدُ

أخشى مفاجأة الأصدقاء

وضجيج الترامْ.

فَعلُنْ، فاعلنْ وفَعولنْ وَفالْ

جذرها واحدٌ في الخليل وقرطاج حتى الغصونْ

موحدةٌ عندما تطرح المشكلة

هكذا أبدأ المرحلة

من مراكب كنعانَ في المتوسط تبحثُ

عن مرفأٍ في التخومْ

شجرٌ في الوعودْ

شجرٌ في الكلامْ

حين ردّوا السلامْ

أطلقوا نارهم في جفون القصيدْ

صار قلبي رُكاماً وراء الركامْ.

كوْمةً من حديدْ

(سيِّدي ... بوسَعيدْ):*

يا إلهي وقلبك فوق الصخور العتيقةِ

مرتجفاً كالغمامْ

كدتُ أصرخ: هذي الرعودْ

ستفاجئهمْ دون كل الأنامْ

وعلى السفحِ

حيث المقاهي رياضْ

داكناً منزلي

كان رغم البياض

---

* سيدي بورسعيد: جبل عالٍ في تونس يطلّ علي البحر.

وعلى السفحِ مثل الخيولْ

كنتِ مجنونةً والرفيقاتُ حولكِ مثل الحَرَسْ.

وفي الأُذنِ قِرطٌ جميلْ

آهِ – قرطاجُ: وجهك سمح لذيذْ

حورةٌ ضامرٌ وعراقيبُها كالفَرَسْ

وسرخَسُها غارقٌ هادئ في المدى

وسمرتُها ربّما من نبيذْ

فخذها زبدةٌ ويداي الرغيفْ

ومائي

يُبلّلها بالندى

العيونُ مسائيةٌ كالغجرْ

تقدحان مطرْ

شجرٌ من شَرَرْ

وحشةٌ في ضجيج الصهيلْ

قال هاني لبعلِ الذؤابات في الفجرِ

هل غربتي قد تطول

متى يبدأ الصقر قرع الطبولْ

رشف الكأس ثمَّ ارتجفْ

حاصرته طيور الذهولْ

فجأةً فجأةً أومضت في الخليلْ

أومضتْ في الخليلْ

صار قلبي رخامْ

كوْمةً من ضجرْ

صار قلبي حجرْ

أومض القلبُ ثانيةً في الخليلْ

صار كفّي حَجَرْ.

شجرٌ من طيوفْ

كدتُ أنسى مذابح أهلي

على صخرةٍ

وَتَشَتُّتَنا وانكسار الوَتَرْ

ورنين السيوف.

شجرٌ من غرامْ

وهْجكِ البربريّ العنيفْ

غابةٌ من حمامْ

غابةٌ من مطرْ

وَمَساكِ يخيفْ

أومضتْ، أومضتْ في الخليلْ.

كان قلبي حَجَرْ.

صار كفّي حجرْ.

إذبحوا الخوف فينا

يُشَرّشُ

حتى يثور الذليلْ

وارْكلوا جثة الخوف في حُفرةٍ

وَبلا أَثرٍ أو دليلْ

خَرَسٌ وارفٌ كالنخيلْ

من خليج المحيطْ

لمُحيطِ الخليجْ

بكاءٌ يزلزل أركان هذي البيوتْ

١٨- القصيدة ناشفةٌ

لا قناديل فيها ولا أسئلة

الوحوشُ تغازلني في بهاء السطوحْ

الرذاذُ الشفيفُ يُعاتبني في مَسارب غابتك الموحشة

النشيدُ القديم الذي كنتُ دَنْدَنْتُهُ في الصباح

عندما مرَّت الفتنةُ الطافحة

لم أجد أثراً لملامح قرب باب الحديدْ

الطيور التي التقطتْ في الهجير بذور الأقاحْ

غَرَّبت باتجاه الجنوب الذي كان يوماً – شمالَ الجنوبْ

ما الذي سوف أمنح للوردة الجائعة؟!!

ما الذي سوف أعطي لطفلة هذا الشهيدْ؟!!

ناشفٌ غَضَبي

جارحٌ عَتَبي

ناحلٌ قَصَبي

مازجٌ خَبَبي: فاعلنْ فَعِلُنْ.. وَفعولنْ سأحشرُهُا

في المحيط الذي طوَّقَ الدائرة.

ثمَّ لو شئتُ أن أَتبعَ الخيطَ والخطَّ في رحلةِ القافلة

لوجدتُ الخليل يَعُضُّ نواجذهُ ندماً أيّها الشعراءْ

تعالوا معاً نكسرُ الدائرة

تعالوا نحطّمهاشقْفةً، شقْفةً ثمّ نرمي بها

في حقول العنبْ

القصيدةُ رقصٌ على صهْوة الخيل في الليل قرب جرار النبيذْ

القصيدةُ بوْحٌ أنيقٌ لرُمّانها الناضج الوجنتينْ

القصيدة وحشيةُ القطّة الغامضة

تتعربشُ في ذيل فستانها

وتخرمشُ سور المناديل في مَرْمرِ الساعدينْ

---

* ألقيت بمهرجان جرش الشعري، الأردن، صيف ١٩٩٣ وهي المرّة الوحيدة التي شارك فيهاالشاعر في هذا المهرجان.

القصيدةُ أرملةٌ فارقتْ بَعْلها في ذُرى بهجة الاحتفالْ

القصيدةُ هذا الفراق الذي في دموع المطار

أو لقاءُ صديق عتيقْ

فجأةً في مقاهي القِطارْ

القصيدة تفّاحتان تنامان في خجلٍ في ثنايا القميصْ

القصيدةُ (قُدسٌ) تراها العيون من الغور مثل العروسْ

نشتهي أنْ نَبوسَ القباب ولكنّها لا تبوسْ

القصيدةُ زعلانةٌ مثل أسوارها الناطرة.

القصيدة مفترقٌ ومُفارقَةٌ ساحرة

تشعلُ الحربَ في الدائرة.

الشرايين ناشفةٌ ثم محبرتي ناشفة

الَحمام المُحجَّبُ يكرعُ كأس نبيذٍ على

شرفة الفندق الشبقيّ على حافّة الغورِ

قرب نخيل المساءْ

الحمام المحجّبُ يخلع شال الحريرْ

الحمام المحجّبُ يسبح في زمهرير الشتاءْ

الحمام المحجّبُ يلتقط القشّ ثمّ يطير

إلى خشب الجُلْجُلَةْ

يا (ابن مُقبلَ) جَهِّزْ لهذا الرخامْ

كي يثرثر بعض الكلام.

مرّةً قمتُ أمسكتُ سلسالها

وَلْوَلَتْ ثمَّ صاحتْ: وَلَهْ!!!

تعال معي خلف بلّوطةٍ في الخلاءْ

قلتُ إنّي أخاف إذا شافني سيّدُ القافلة

القصيدةُ غامقةٌ في العيونْ

القصيدة ساكنةٌ كالرسوم العتيقة في (مادبا)

القصيدةُ مُشمسَةٌ مثل فاكهة الغيم،

هذي أريحا التي أصبحتْ نجمة الأرجوانْ

لا مكان لها في المكانْ

وأنا نبعةٌ نشفتْ فوق كوْم قصائدكِ الذابلة

هل أحطّم هذي المداليل، هذي الدوالْ

غارقاً في مُشَعْشَعَةِ الكرم، أشرب صمت الظلال؟!!

أم أُداري زماني وأُخفي السؤالْ

العلامات ليست كهوفاً لراعية شوَّبتْ

من هجير الأناشيد، قالت: أراكْ

ثمَّ مَلَستُ فوق ضفائرها السود

فارتعشتْ قُبَّرةْ

القصيدةُ مارقةٌ بكشاكشها وخلاخيلها، فتنةُ البَلْبَلَهْ

صاحت امرأة الملح: احذرْ وَلَهْ!!!

القصيدةُ ناشفةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلة.

القصيدةُ جارحةً كانت البارحة

القصيدةُ صارتْ بلا كهرباءْ

ما الذي يُشعل الشعراء سوى سَفَر في المحيطات

في قاع قاع الزمانْ

ما الذي يقتل الشعراء سوى حاجزٍ من أقاويل أجدادنا

الراسخةْ

ما الذي يُقْرفُ الشعراء سوى خطبةٍ وَسخَهْ

ما الذي يُلهب الشعراء إذا مرَّت الفتنةُ الناعسة

فوق هودجها تحرق الأرخبيلْ

سوى أنّها تفتح المعركة

ما الذي يزعج الشعراء سوى أنّهم لم يذوقوا

نبيذ الخليلْ

ولم يرضعوا الماء والعشب والنافذة

القصيدةُ ناشفةٌ أيّها المهرجان.!!!

لم أَعُدْ قادراً أنْ أُلامسَ هذا السراب الجميلْ

لم أعُد قادراً أن أُجاملَ هذا القرنفل في التّلة العالية

لم أعدْ قادراً أن أسامح عوسجةً مزّقتْ خطأً صُرَّتي

في حنايا الطريقْ

المدينةُ لا صَبْر فيها سوى الشوك والنَرْفَزَةْ

الحداثةُ فيها رخامُ القبورْ

ضَجيجٌ يقولُ ولكنَّة قَزْقَزَةْ.

لم أعدْ قادراً أن أُحوّل نهر الخديعة عن زحفه في الرمالْ

لم أعد قادراً أن أرى عشبةً في الربيعْ

شجر الصيف بين نعاج الغيوم هموْ

لم يَعُدْ يندف الثلج يا كستناء الشتاءْ

تلك روحي.. بقايا رسومْ

لم أعُدْ قادراً أن أقولْ:

نجمةٌ في سماء المحيط تُنقّطني بالرمادْ

نَيْزَكٌ يتشظّى على مُدُنٍ باليةْ

الهَويَّةٌ مشروخةٌ في ثنايا السؤالْ.

لم أعُدْ قادراً أن أكيّف روحي

على خشب الطاولة

نِشارةُ روحي تسيلُ على الماء في منحني غَسَقٍ

كالح مثل حبر عتيقْ

تلك روحي التي خرجتْ عن مسار الخيول إلى الهاويةْ

خوختُهْ من وَجَعْ

كرمةٌ قرب دير وحيدٍ على المرتفَع

الذين رأوا في السباق الأخير

لم يروا أنني شفتُ قبل ولادتهمْ – رعشَةَ الفاجعة

كنت طيراً وحيداً يرفرف فوق القطيعْ

هل أعاتبهمْ واحداً واحداً.. أيّها الشهداءْ

لم يعد في دمي كهرباءْ.

كنتُ قسّمتُ روحي.. كتفّاحة ذابلة

غرفةً، غرفةً، ثم وزّعتُ ضوئي

غمرتُ السطوحْ

وِفْقَ خارطةٍ أكل العِثُّ أطرافَها الباردة

حيث دقّقتُ في غضب البحر، كيف رآه النُحاةْ

قبل تحنيطهِ بالبهارْ

لا أنا قادرٌ أن أعيد إليه البهاء القديمْ

لا أنا قادرٌ أن أبوحْ

أنفخَ الروحَ في صدرهِ المضطربْ

قمتُ طرَّزتُهُ بوحوش المحيطْ

ثمَّ نقّطتُهُ بالرصاصيِّ حين أبى أن أُنَقّطَهُ

زرقةً، ثم أوصلتُ بالخيط منحنيات الخطوطْ

أيّها الشعراءْ

كلُّ توقيعةٍ كنتُ فجرّتُها لم تصلْ

لم يكن ميّتاً بحر كنعان قبل هطول غيوم الطحينْ

أريحا تشاطره التمر واللوز والموز في شرفات الرحيلْ

وأنا غارقٌ في دمي أرقبُ الزخرفة

فوق حيطانهمْ في سماء النخيلْ

لئلاّ تميلَ، لئلاّ تميل، لئلا تميلْ

آخر السطر أرشقهم نَقْفَةً حارقة

أسوّي السطور لكي تستقيمْ.

طلقةٌ، طلقتانْ

للعريس الذي سوف يبصم عقد الزواجْ

طلقةٌ، طلقتانْ

للبعير الذي في الفراشْ

طلقةٌ، طلقتانْ

للرداءة تحتلّ هذا البياض الخَداجْ.

أيها الأبيض الدمويُّ انفجرْ

أيها الأخضر الرعويّ انفجْر

أيّها الأرق النائم في حقل هذا النُعاسْ

دُلَّني بالعلامات في ليلة البرتقالْ

على حُزَم الضوء في المنْعَرَجْ

علّني أتبخّرُ كالبحر، مثل السكونْ

أو

أعدني إلى الأبيض الدمويّ لكي أنفجرْ

أعدني إلى الأبيض الدمويّ لكي أنفجر

أعدني

إلى

الأبيض الدمويّ لكي أنفجرْ

طالت المسألة!!

طالت المسألة!!

القصيدةُ ناشفةٌ لا قناديل فيها ولا أسئلة.!!!

١٩٩٣– عمّان

١٩- توقيعات

-١-

كانت جرَّتُها بين يديها، حين قلبتُ الجرّة

صفراءَ كتفّاح، بيضاءَ... ومُحْمرَّة

أشهد أنّي راودتُ البنت... وكنتُ سفيها

قلت لها: مرّة!!

وحياتكِ: مرّة

وأموتُ سفيها

لكنْ رفضتْ بعنادٍ .. كأبيها.

-٢-

إحذر خضراء الدمن على مرّ الأزمانْ

إحذر غضب المجروح

إحذر كيد صديق يعرف شريان الروحْ

إحذر نسوان الخان

ترد الماء وتصبح عطشانْ

القلب لغيرك مفتوحْ

البحر المالح لا ينجب عسلاً من كنعانْ

العلقم لا يولد من قصب السُكَّرْ

البغلةُ لا تُولد مُهْراً يرعى في الهَضبَةْ

القطةُ لا تنجب أفعى

الأفعى لا تُخلي جُحّراً إلَّا بالفأسْ

الأفعى لا ترحل بالموسيقى

الأفعى لا ترحل إلَّا إنْ قُطع الرأسْ!!!

-٣-

فجأةَ، فجأةً، فجأةً ...

ظَهَرتْ طائراتُ العدوِّ بحضن الجبلْ

فقال الخليليُّ لها ... في خَجَلْ:

يا مَرَهْ

طائراتُ العدوّ ترانا

فكُفّي عن الثرثرةْ

خذي هيئة الانبطاحْ

فقالتْ: أما تستحي يا رَجُلْ !!!

-٤-

البابُ إذا هبّت منه الريحْ

إخلعهُ

لتكتشف هروب الحرّاسْ

ناطحْ عاصفة الأضواءِ

وكرْكعة الأجراسْ

فإذا أحنيتَ العنق المجروحْ

قالوا أغواه اليأسْ

ولهذا،

ناطحْ يا هذا،

ستقول الناسْ

مطعوناً مات ولكنْ مرفوع الرأسْ.

-٥-

رجعتُ من المنفى

في كفّي خُفُّ حُنَيْنْ

حين وصلتُ إلى المنفى الثاني

سرقوا منّي الخُفّيْن.

-٦-

قُل ما عندك عن هذي الورطةْ

قبل وصول الشرطة

الكاذب منّا سوف يموتْ

مدهوساً في الشارع كالقطَّة.

ثمَّ نُسجّلُ في قائمة الأيتام بنيكْ

القاتل أوّلُ من يرثيكْ

في صحف تملكها الشرطة

بطلاً بالألوان على رأسك حطَّةْ..

-٧-

يصدأ قلبي خلف زجاج الخمّارة في الشامْ

أتصفّحُ فتنتها

القدّ الأفعى

الوجه البلّورْ

الشعر المنعوفْ

تتآكلُ طقطقة الكعب على خَدِّ رصيفْ

أركض نحو الباب الأخضر كالملهوفْ

وأعود فقد رحلتْ

لأحدّق في وجه "أبي معروفْ"

وأظل على طاولة المنفى، حتى

حتى يطردني عمّال التنظيف .!!!

-٨-

يَشْلِفُ البحرُ قبَّعتي ليُساوِمَني لاحقاً

وألحقُهُ: يا كثيرَ المُزاحْ

كان بَطِّيخُهُ يانعاً في الرمالِ

ولاحقتُهُ صاحَ بي:

يا كسير الجناحْ

تعال إذا شئتَ : خُذها وصدَّقتُه

ومشيتُ إليه كمن يتوسلُ أن يرسل

البحر فاكهةً في الصباحْ

يَكْحَتُ البحر أجسادنا المُتْعَبَةْ

بِليفَتِهِ لننامْ

على سُرُر البحر

مرجانُها... طَافحٌ بالغرامْ

تَرَجَّيتُهُ أيها البحر كن ناعماً كالأقاحْ

أنا لا أريدُ العراك فَألقِ السلاحْ

ورَمْرمتُ شقحة بطيخةٍ.. يا سلامْ

مُثلَّجةٍ كجبال سيبيريا ومفعمةٍ بأسى

ثمَّ راوَدَني الانتقام

وحين أبى ردَّ قبَّعتي

قمتُ جرَّسْتُهُ بقبيحِ الكلام.

-٩-

عَيَّروهُ بأنفٍ يشقُّ عنان السماءْ

وبالنرجسِ الدمويّ الذي في الضلوعْ

وبالصمت والكبرياءْ

رَجُلٌ شاردٌ دائماً في حنايا الفضاءْ

رجلٌ لا يناسبُهُ الانحناءْ

قيل يُشبهني في التقاطيع

قيل: خصوصاً سوادُ العيونْ

رجلٌ واضحٌ غامضٌ وحزينْ

رَجُلٌ ساهمٌ في "لعلّ" ، "عسى"

سابحٌ في بحار المُنى

إنَّهُ– دونَ لَفٍّ ولا دَوَرانَ– أنا.

-١٠-

جنَرالٌ دخل التاريخ الرمليَّ

رآها تائهةَ تتلوى دون دليلْ

كانت كالقشطةِ مثلُ صفاء البلّورْ

قتلتْ فتياناً قبل التاريخ وبعد التاريخ.

وكم اغتالت عيناها عشّاقاً وقُضاة

كم ذاب الشعراءُ

من الوجدِ

رأوْها في هودج عاشقها تتدلّى كالعنقودِ

تُشعُّ كقنديلْ

في ليل الصحراء الموحشِ

في أول قافلة الجيش،

تُضيءُ مقدمةً ومؤخرةً، ميمنةً أو ميسرةً

كان العاشقُ في الساحِ يُقارعهمْ ويُجندلُ

مقتولاً خلف قتيلْ

كافأه الجنرالُ بقيدٍ في الرُسْغِ وزنزانةْ

وتعجَّبَ شعراءٌ ورُواةْ

كان العاشق في السجن أسيرا

"أدْفأهُ" الجنرال الدمويُّ بطَعْنَةِ لماعٍ مصقولْ

ليلاً، أخبرها أن العاشق حَزَّ القلبَ

بشفرتهِ واحتلَّ الجنرالْ

جسد التاريخ، احتلَّ الجسد الممدود سريرا

لكنْ

ما احتلَّ القلب ومات بعيرا.

-١١-

قد صار لي غرفة

في المشرق العربيِّ

لي منفى ولي غرفة

في المغرب العربيِّ

لي منفى ولي غرفة

طفلٌ يوعوع داخل الغرفة

وأنا أدخّنُ خارج الغرفة

سمَّيتُهُ كنعان

باسم الأرجوان الرطبِ

باسم الأرض والصخرة

القدسُ تشكركُمْ

اللّدُ والرملة

الكرمل العالي

والمرج والتلّة

وأنا وجفرا والحقائب والكُتُبْ

ثمّ الغسيل، تليه دفّات الخزانةِ

ثمَّ كنعانُ الجديدْ.

– جفرا تقول بأنَّ أشعاري

وما أشْبَهْ

سَتُقرّبُ الدولة

البيتُ مهدومٌ والقلبُ مختومٌ والعقل مختلٌّ والفعل معتلٌّ

والأرضُ محتلّةْ .!!!

-١٢-

لهُمْ "الروكُّ" ، هُمْ دائماً في عَجَلْ

ولنا "الراي" والميجنا في مساء القُبَلْ

ولهمْ كهرباءٌ مُلَوّنةٌ تشتعلْ

ولنا القمر المكتملْ

ولهمْ... كل هذي المدائح، هذي الصفوفْ

ولنا كل هذا الخسوفْ

الهواء لهمْ

ولهمْ خبز هذي الكُرَةْ

لهُمُ الوعل والأيل والقبّرة

ولنا حسرةُ الثرثرة

النساء الجميلات أيضاً لهمْ

في الهوى والغناجْ

ولنا.. شدَّةُ الاحتجاجْ

ولهمْ خمرة الدير بعد الغروبْ

ولنا الجلجلة

والتواريخ إن قَرَّروا

سَتُزَور من أجلهمْ

ولنا كثرة الأسئلة.

٢٠- هوية مشروخة

١- لا تقل لامرأةٍ

لا تَقُلْ لامرأةٍ في الأربعينْ

وَخَطَ الشَّيْبُ جناحَ القُبَّرةْ

قل لها إنَّ سماء الأربعين

فِتنةٌ للناظرينْ

عنبٌ، دُرَّاقةٌ مُخْضَوْضِرَهْ.

٢- لا تقل لها

لا تَقُل لامرأةٍ ..

كم يبلغ الورد من العمر،

إذا كان السؤالْ

أزليّاً وعتيقاً كالجبال

٣- لا تقل للشجرة

لا تَقُلْ للشجرة

أيَّ أغصانكِ أجملْ

إنّما مشّطْ لها الروح وأهداب الرموشْ

وتغزَّلْ.

٤– لم تكن تعرف

لم تكن تعرف شيئاً

من أمور السحر في التقديم والتأخير ...

لكنْ

حين أغفتْ وحدها

ثمْ استفاقت فجأةً

صاح بها صوتُ النذيرْ

حدَّقي

هذا النعامُ البربريُّ النارِ

بالسوطِ .. يطيرْ

٥- لا تقل للسماء

لا تقلْ للسماءْ

أنت زرقاءُ الرمادْ

قل لها ... صافيةٌ كالنبع في أوَّلهِ ...

قبل الحداد.

٦- مثل هذا الشاعر

مثل هذا الشاعر الكذّابِ

لم تشهد عيوني

يرسم الكلبَ .. حمامةْ

ويوازي بين مقهورٍ ... وقاهرْ

فإذا جاء زمانٌ كالأظافرْ

قال إنّ العين لا تعلو على الحاجبِ ...

إنْ شئتَ السلامة.

٧- لا تقل للنائحة

لا تقلْ للنائحةْ

كيف ولولتِ بلا دمعٍ يفيضْ

قل لها لا تنشري، هذي الفضائحْ

كلُّنا للموت رائحْ.

٨- شفتاها

شفتاها من لهيبٍ ودهاليزِ دروبٍ ونصوصْ

وأنا العطشانُ تحت المقصلة

فلماذا حين تُومي ويجافيني القميصْ

لا يجيب البرقُ عن أسئلةٍ منفصلة

٩- ساحة السيّاح

قيل لي في ساحة السُّيّاحِ شالاتٌ

من الكشمير ترتاد ذؤابات الفضاءْ

وعلي كل البلاطات نقوشٌ في ممرّات الغيومْ

ثمَّ أنباطٌ ... وروم

ثمَّ هذا العوسج البريّ، مصلوباً

على كهف الرقيمْ

كيف أمحو شائعات الأعدقاءْ

أيّها القلب الرحيم.

١٠- مواعيد

لا تقل لامرأةٍ في ذروة الزينة حول الرقَبَةْ

خَطَّتْ المرآة فوق الخشبه

حيث ظلَّ الكحل في الجفن يسيلْ

غَيَّرَ العاشقُ ميعاد الندى،

قبل قليل.

١١- ساق القرنفل

يا صديقي

أيها الغيم الذي يلعب بالزهرِ ....

على شال الحريرْ

فوق أكتاف القدود المائساتْ

أُنثر الثلج على ساق القرنفلْ

وتمهّلْ.

١٣- حين تسقين السفرجل

مرَّةً، قلتُ لها يا نجمة الهمس الجميلْ

إنَّ هذا الاشقرارْ

ليس إلا سرطان القيد كالوعد المكبَّلْ.

قد تصيرين عصير الجلّنارْ

حين تسقين السفرجلْ.

١٤- قاع

كانت الشرفة قرب البحر، مأوى عاشقينْ.

خِلسةً في زمن الإغريق، حيث الأرجوانْ

فوق ثوب العرس منقوعاً مع الخَلّ العتيقْ

بعد هذا، طافحاً في بَدْءِ حرب الوردتينْ

هجم البحر الذي اهتاج فأقْبَلْ

برذاذٍ ساحليّ، يغسل الحلم المؤجَّلْ

فمددتُ الكفَّ في غاباتها

صرختْ أيُّها الوحشُ الحميمْ

أُترك القاعَ ليسترخي ... تَرَجَّلْ

وتعجّلْ.

١٥- قبل الغروب

لا تقلْ لامرأةٍ قبل الغروبْ

جَرّبي كأسَ النبيذْ

يشعطُ الروحَ ويشويها

على جمر الرموز الخائفة

قل لها: إنْ تشربي

يخضرُّ فيك الرملُ

تحمرُّ العروقُ الناشفة.

١٦– مثاقفة

بدويٌّ يرشق النار على غابات أوروبا

لتُمطْر

يا صديقي لا تقل لي

صرتَ فرعاً في جذوع الشجرة

عُدْ إلى خيمتك الأولى وحدّقْ جيّداً

في النبع ... تسكرْ

أنت في المهجر مربوط بحبل السَّحَرة

لا تقل صرتَ حداثياً

فهذي الياقةُ البيضاءُ، لا تنسى .. وتشعُرْ

البَرابيرُ على أردانك الخضراء، تَذْكُرْ

فتذكّرْ قسوةَ الصحراء في الفجر المبينْ

أيّها الطفل الهجينْ.

١٧– أسباب

كيف غاص البحر في القاع وماتْ

طقّ قهراً حين دَقْدَقنا الخيام

في سهول الغور تحت الشَّجَراتْ

قال ويلي كيف أحيا في عصور الظُّلُمات ..!!

١٨- نادلة

كانت النادلةُ الشقراءُ تسألْ

هل هوى الصحراء أنثى

أم له سيفٌ وأرجُلْ

كنتُ مقصوداً بهذا وأنا حول السؤالْ

بدويٌّ يَتَفَتَّلْ.

١٩- خرابيش

مرَّةً ... خربشتُ فوق الحائط المجنونِ،

في السور السفيهْ

جملةً في الحبّ، تمشي

مثل أغصان الموشّحْ

في صباحٍ، كان في اليوم الذي كان يليهْ

جئتُ كيما أقطفَ الموَّال من زَهْرٍ تفتَّحْ

كانت الحيطان ترشحْ.

٢٠- قرميد أحمر

طوبةٌ أدلتْ بتصريحٍ عن التاريخِ

قالت للنوافير التي في صخرها البازلت

تغلي، تتدفّقْ

(مادبا) كانت مَقَرّاً لعصافير الشرقْرَقْ

لم تكن للعابر المزعوم مأوى

في ذراها نجمةٌ من بيت لحم

في سماها سهر الأجداد في حقل الشعيرْ

صومعاتٌ من نبيذٍ وبقولٍ وحُبوبْ

يُقرأُ المكتوبُ من عنوانهِ

قبل إحراق الرسالةْ

أيها الوجه المُريبْ

في زمانٍ عَظُمَتْ فيه البطالة

فلماذا ...لا تتوبْ.

٢١- هوية مشروخة

يا إلهي، لم أَعدْ أعرفُ في الليلِ

بأنَّ المشمش البريَّ يهذي في رحاب الأبديَّة

غامضاً مثل الوضوحْ

غامضاً كان يُصلّي في جبال المجدليَّةْ

يتجلَّى في العلالي خلف رهبان السفوحْ

وأنا ما زلتُ أهذي وأغنّي

غامضاً كالشمسِ، مشروخَ الهويَّة.

الشاعر عز الدين المناصرة

مواليد (الخليل) بفلسطين في : ١١/ ٤/ ١٩٤٦ .

تخرج في كلية دار العلوم– جامعة القاهرة عام ١٩٦٨.

وحصل على دبلوم الماجستير من نفس الكلية في النقد والبلاغة والأدب المقارن عام ١٩٦٩.

ثم أكمل دراساته العليا لاحقا وحصل على شهادة التخصص في الأدب البلغاري الحديث ثمَّ حصل على شهادة الدكتوراة (ph.D) في الأدب المقارن– جامعة صوفيا. ١٩٨١ .

عاش متنقلاً في البلدان التالية:

١– فلسطين (١٩٦٤–١٩٤٦)

٢– مصر (١٩٦٤–١٩٧٠)

٣– الأردن (١٩٧٣–١٩٧٠)

٤– لبنان (١٩٧٧–١٩٧٣)

٥– بلغاريا (١٩٨١–١٩٧٧)

٦– لبنان (١٩٨٢–١٩٨١)

٧– تونس (١٩٨٣–١٩٨٢)

٨– الجزائر "قسنطينة" (١٩٨٧–١٩٨٣)

٩- الجزائر "تلمسان" (١٩٩١-١٩٨٧)

١٠- الأردن (١٩٩١-٠٠٠)

صدرت له المجموعات الشعرية التالية:

١- يا عنب الخليل- ١٩٦٨ ، القاهرة.

٢- الخروج من البحر الميت- ١٩٦٩ ، بيروت.

٣- قمر جرش كان حزيناً- ١٩٧٤ ، بيروت.

٤- بالأخضر كفناه- ١٩٧٦ ، بيروت.

٥- جفرا - ١٩٨١ ، بيروت.

٦- كنعانياذا - ١٩٨٣ ، بيروت.

٧- حيزيّة-١٩٩٠ ، عمّان.

٨- رعويّات كنعانية-١٩٩١، قبرص.

٩- لا أثق بطائر الوقواق-١٩٩٩، فلسطين.

١٠- مجلد الأعمال الشعرية الكاملة-(٩٠٠ صفحة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (الطبعة الخامسة)، ٢٠٠١.

١١- (باللغة الفرنسية): مختارات من شعره بعنوان (رذاذ اللغة)، ترجمة محمد موهوب وسعد الدين اليماني، صدرت عن دار سكامبيت، ١٩٧٧، بوردو، فرنسا.

١٢- (باللغة الفارسية) :مختارات من شعره بعنوان (صبر أيوب)، ترجمة موسى بيدج، طهران ١٩٩٧ .

كما صدرت له الكتب النقدية التالية:

١- الفن التشكيلي الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٥ .

٢- السينما الإسرائيلية في القرن العشرين ، بيروت، ١٩٧٥ .

٣- (جمع وتحقيق) الأعمال الكاملة للشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود، دمشق، ١٩٨٨ .

٤- المثاقفة والنقد المقارن، عمّان، ١٩٨٨ .

٥- الجفرا والمحاورات (قراءة في الشعر اللهجي بفلسطين الشمالية)، عمّان، ١٩٩٣.

٦- الشعريّات- عمّان، ١٩٩٢ .

٧- حارس النص الشعري، بيروت، ١٩٩٣ .

٨- جمرة النص الشعري، عمّان ، ١٩٩٥ .

٩- المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، ١٩٩٩، عمّان.

١٠- شاعرية التاريخ والأمكنة- حوارات مع الشاعر عز الدين المناصرة- المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠ .

١١- هامش النص الشعري - ٣١٥ صفحة.

١٢- قصيدة النثر: نصٌّ مفتوح عابر للأنواع - ٥٣٧ صفحة.

كتب نقدية صدرت عن تجربته الشعرية والنقدية:

١- فتيحة كحلوش: بنية المكان في شعر سعدي يوسف وعز الدين المناصرة (أطروحة ماجستير)- جامعة قسنطينة، الجزائر، ١٩٩٧ .

٢- (مجموعة من الباحثين المغاربة): البنية الإيقاعية في شعر عز الدين المناصرة- فلسطين، ١٩٩٨.

٣- (مجموعة من الكتاب العرب): امرؤ القيس الكنعاني- قراءات في شعر عز الدين المناصرة، إعداد وتحرير: عبد الله رضوان، بيروت، ١٩٩٩

٤- د. فريال جبّوري غزول: الفلسطينيون والأدب المقارن- (روحي الخالدي- إدوارد سعيد- عز الدين المناصرة- حسام الخطيب)- منشورات، الهيئة العامة لقصور الثقافة (كتابات نقدية -١٠٢)- القاهرة- ٢٠٠٠ .

أعمال:

١- مذيع ومدير البرامج الثقافية - الإذاعة الأردنية (١٩٧٠- ١٩٧٣).

٢- نائب رئيس تحرير مجلة (أفكار) الأردنية - ١٩٧٣.

٣- رئيس اللجنة التحضيرية التأسيسية لرابطة الكتاب في الأردن - نوفمبر ١٩٧٣. وقد استقال من هذه الرابطة عام ١٩٩٧. وهو أيضا عضو في الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين منذ تأسيسه عام١٩٦٦ في قطاع غزة.

٤- المحرر الثقافي لمجلة (فلسطين الثورة) الناطقة بلسان منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت (١٩٧٤- ١٩٧٧).

٥- عضو القيادة العسكرية (م.ت.ف)، لجبهة جنوب بيروت- ١٩٧٦.

٦- مدير مدرسة أطفال تل الزعتر – الدامور، لبنان – ١٩٧٦.

٧- رئيس المؤتمر التأسيسي لحركة فتح الفلسطينية في جمهورية بلغاريا الاشتراكية – ديسمبر ١٩٧٧.

٨- سكرتير تحرير مجلة (شؤون فلسطينية) – مركز الأبحاث الفلسطيني – بيروت، ١٩٨٣-١٩٨١.

٩- سكرتير تحرير جريدة (المعركة) – حصار بيروت- ١٩٨٢.

١٠- أستاذ الأدب المقارن وموسيقى الشعر ونظريّة الأدب- جامعة قسنطينه – الجزائر – ١٩٨٧-١٩٨٣.

١١- أستاذ النقد الحديث والأدب المقارن والثقافات الشعبية- جامعة تلمسان – الجزائر ١٩٩١- ١٩٨٧-.

١٢- رئيس اللجان الفلسطينية للوحدة الوطنية – الجزائر – ١٩٨٧- ١٩٨٥.

١٣- أحد مؤسسي (الرابطة العربية للأدب المقارن) – ١٩٨٤، والأمين العام المساعد للرابطة- ١٩٨٤- وحتى الآن. عنّابة – الجزائر.

١٤- مؤسس ورئيس قسم اللغة العربية – جامعة القدس المفتوحة (م.ت.ف) – عمّان – ١٩٩١- ١٩٩٤.

١٥- عضو قيادة (حركة الإصلاح الديمقراطي الفلسطيني) – عمّان – ١٩٩٤.

١٦- عميد- كلية العلوم التربوية (وكالة الغوث الدولية- الأونروا) – عمّان – ١٩٩٤- ١٩٩٥. وقد احتجَّ على قرار إغلاق الكلية صيف

١٩٩٥، ممّا أدى إلى تراجع الوكالة عن قرارها، لكنها فصلته من عمله بسبب احتجاجه العلني على قرار الإغلاق.

١٧- عضو الجمعية الأدبية المصرية، القاهرة (١٩٧٠-١٩٦٤) ومراسل صحافي في القاهرة لمجلة - الأفق الجديد المقدسية (١٩٧٠-١٩٦٤) ومجلة - مواقف اللبنانية - ١٩٧٠-١٩٦٨، ومجلة الهدف الفلسطينية في بيروت - ١٩٧٠-١٩٦٩ وسكرتير التحرير التنفيذي لمجلة (الثقافة العربية (بيروت ١٩٧٤). وعضو الهيئة الاستشارية لمجلة (الفكر الديمقراطي، قبرص) -١٩٨٨. وعضو الهيئة الاستشارية لمجلة كتابات معاصرة اللبنانية منذ ١٩٩٦ وحتى الآن. وعضو الهيئة الاستشارية لجريدة (الفينيق) - عمّان منذ تأسيسها وحتي الآن ومدير تحرير مجلة فيلادلفيا الثقافية - ٢٠٠٠-١٩٩٦. وعضو الرابطة الدولية للأدب المقارن- باريس، ١٩٨٥.

١٨- أستاذ الأدب المقارن والنقد الحديث - جامعة فيلادلفيا الأردنية (قطاع خاص) - منذ أيلول ١٩٩٥ وحتى الآن.

قصائد المجموعة

١– يا عنب الخليل ٥
٢– جفرا في سهل مَجِدّو ١٣
٣– قراءة أولية لطريق العين ٢١
٤– خان الخليلي ٢٩
٥– الخروج من البحر الميت ٤١
٦– أضاعوني ٥٩
٧–مواصلات إلى جسد الأرض ٦٥
٨– مذكرات البحر الميت ٦٧
٩– قمر جَرَش كان حزيناً ٨١
١٠– تُقبل التعازي في أي منفى ٨٩
١١– القبائل ٩٥
١٢– بالأخضر كفّناه ١٠٧
١٣– امرؤ القيس يصل فجأة إلى قانا الجليل ١١٣
١٤– جفرا ١٢١
١٥– حيزيَّة ١٢٧
١٦– يتوهج كنعان ١٤٣
١٧ – حصار قرطاج ١٦٥
١٨– القصيدة ناشفةٌ لا قناديل فيها ١٧١
١٩– توقيعات ١٨٣
٢٠– هوية مشروخة ١٩٥